



كن غرسًا طيبًا



كن غرسًا طيبًا

د. أحمد إبراهيم عبدالرحمن

غفر الله له ولوالديه

الكتاب: كن غرسًا طيبًا
المؤلف: د. أحمد إبراهيم عبدالرحمن
التصنيف: تطوير الذات
الناشر: دار ملهمون للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى: يناير 2025

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقًا لنظام
التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.



الرقم الدولي المتسلسل للكتاب:



جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لملهمون للنشر والتوزيع، ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات
أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من ملهمون للنشر والتوزيع.



الطبعة:



darmolhimon
www.darmolhimon.com
+97145911660



SILICON OASIS, 20TH
FLOOR (SIT TOWER) -
OFFICE 2004, Dubai, UAE

إهداء

إلى رسول الله «إبي القاسم»

محمد بن عبد الله ﷺ

«يا أحمدَ الخَيْرِ لي جاءَ بِتَسْمِيَتِي

وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمَى»⁽¹⁾

ما رأيت يوماً نور وجهك..

وما سمعت منك عذب صوتك..

ولكني يا رسول الله أحبك..

ولنا على الحوض لقاء بإذن الله تعالى..

(1) مقتبس من نهج البردة أحمد شوقي



إهداء

إلى دفعتي..

الدفعة السادسة بكلية العلاج الطبيعي جامعة جنوب الوادي PT6

في الواقع، السنة الأخيرة لي بالجامعة -على خلاف ما توقعت- واحدة من أصعب السنوات التي مرّت بي نفسياً، إذ امتلأت بالعديد من المشاعر والأفكار المتناقضة.

أشعر برغبة ملحة في إنهاء الدراسة ومع ذلك ينتابني خوف عميق من المستقبل المجهول، ويعتريني شوق دائم لمكان ما زلت أعيش فيه، ولأشخاص ما زلت أرافقهم وأشعر بأنه وكأن شيئاً عزيزاً عليّ يُنتزع مني شيئاً فشيئاً، لأنني أدرك أن الفراق عنهم قد بات وشيكاً.

يغمرني ندم مستمر؛ لأنني لم أقض وقتاً أطول معهم خلال السنوات الخمس التي مضت، ناهيك عن أولئك الذين تعرفت إليهم في نهايات هذا الدرب، ولم تسعفني الأيام لأستمع بصحبتهم كما ينبغي.

لقد أدركت الآن أن المتعة الحقيقية تكمن في الرحلة ذاتها، لا في بلوغ الغاية، لذا، أشعر بالامتنان العميق لكل من صادفتهم في هذه الرحلة، ولكل من كان له أثر في تيسيرها.



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد خير الخلق أجمعين، مبعوث من الله رحمة للعالمين ليكشف الله به الغمة ويرفع وينجي الله به الأمة من عذاب يوم عظيم ويهدي الله به إلي الصراط المستقيم، اللهم اجعل لقائنا بك لقاء الأحبة ولا تجعل لقائنا بك لقاء حساب أو عذاب، اللهم حاسبنا بفضلك ورحمتك ولطفك وعفوك..

ثم أما بعد ..

كم أثقلت قلوبنا المعاصي، وكم نالت منا الأيام والليالي، وكم ذرفنا فيها من الدموع، وإنني في بداية كتابي هذا لا يسعني القول إلا أنه رسالة من عاص إلى عاص، فعسى أن نأخذ بأيدي بعضنا ونلتقي سوياً في الجنة، فأسمح لي أن أكون أنيسك طوال الرحلة وطوال قراءة الكتاب، ونسأل الله التوفيق والإخلاص فيه.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) (١).

إن هذا الكتاب ما هو إلا محاولة مني للإصلاح والتذكرة والتزكية، وهذا الكتاب قد جمعت فيه أكثر من 100 حديث من هدي خير البرية ﷺ، مع تدبر وشرح بأمثلة حديثة معاصرة ومع قصص واقعية حقيقية وأخرى من التراث، وأخرى للعبرة، فعسى الله أن يهدينا ويهدي بنا من يشاء، ونسأل الله أن يستعملنا في الخير ولا يستبدلنا، ولنعلم أننا إذا ابتعدنا عن الله ومنهج الله هلكننا..

(1) [النحل: 125].

باب النية والعمل

النية تعني الإرادة والقصد، ومحلها يكمن في القلب وهي أساس العمل..

1 - فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكُحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))⁽¹⁾. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيلزمنا الإخلاص لله في النية، فإن نوى أحدنا في عمله وجه الله والدار الآخرة، كتب الله له ثواب عمله، وإن أراد بها السمعة والرياء أو شيئاً من الدنيا، فقد حبط عمله، فيجب على الإنسان العاقل أن يجعل همه الآخرة في الأمور كلها.

(1) أخرجه: البخاري 1/2 (1)، ومسلم 6/48 (1907).

(أجل الدنيا؟! - قصة-)

كان يسير في طريقه مع صديقه متجهًا صوب سكنه، حتى رأى أحد المتسولين في الطريق واقفًا يصلي، رق قلبه لذلك المشهد وترقرق الدمع في عينيه، التفت إلى صديقه وأردف:

- حفظ الله ذلك الرجل وبارك في عمله، فلنساعد بالصدقة فهو أولى الناس بها..

أوماً صديقه برأسه موافقًا، وأخرجا الاثنان مقدارًا من المال ووقفًا منتظرين انتهاء المتسول من الصلاة.

وجاء رجل من أقصى الطريق يسعى، قال:

- ماذا تفعلان؟، إن هذا الرجل كلما يرى أناسًا يقتربون منه يشرع في الصلاة من أجل أن يعطيانه المال.

وضع الرجل يده على كتف أحدهما وقال:

- ألم تتساءلا ماذا يصلي؟، فهذا الوقت ليس وقتًا لصلاة النوافل أو السنن.

فصدق رسول الله ﷺ حينما قال: (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَىٰ)، فهذا المتسول كان يصلي ليس لأجل أبتغاء وجه الله بل كان يصلي لأجل المال؛ لأجل الدنيا، وقد خاب وخسر من كانت هجرته لدنيا يصيبها وليست إلى الله ورسوله..

فمن عظيم أمر النية أنه قد يبلغ العبد منازل الأبرار، ويكتب له ثواب أعمال عظيمة لم يعملها، وذلك بالنية.

2 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَىٰ صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))⁽¹⁾ رواه مسلم.

فالصورة والجسم ليسا محل نظر، ومحل النظر ومحل الاعتبار القلب والعمل، فمتى صلح القلب وزكى بالإخلاص لله ومتابعة الرسول ﷺ زكت الأعمال، ومتى فسد القلب بالرياء والسمعة والشرك فسدت الأعمال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوْا مَا فِي صُدُوْرِكُمْ أَوْ تُبْذُوْهُ يَعْْلَمُهُ اللّٰهُ﴾⁽²⁾.

(1) أخرجه: مسلم 8/11 (2564) (34).

(2) [آل عمران: 29].

إذا فيجب علينا أن نخلص لله ونجعل جميع أعمالنا خالصة لله حتى نأخذ على نيتنا أجرًا، فنجعل حتى نومنا لله، أي ننام حتى نستعيد قوانا لعبادة الله، فنأخذ على النوم أجرًا.

وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾⁽¹⁾ فالمعنى: أنه ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له مخرجًا ومخلصًا من غموم الدنيا والآخرة، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قرأها، فقال: مخرجًا من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة.

(1) [الطلاق: 2].

وقفة 1



نور القلب بيد الله سبحانه، فادع الله بقولك: «اللهم
اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري
نورًا»،

يقول تعالى:

﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾

سورة البقرة- 17.

إن الله يعلم ما في قلبك وهذا كيفيك..

فاللهم جبرًا





باب التوبة والندم

يقول أحد الصالحين: في وقت من الأوقات، تكون النكت السوداء قد أعمت قدرًا كبيرًا من قلبك؛ فلم يعد ينفذ إليه النور، ولم تبذل أنت جهدًا في تنظيف قلبك..

ثم يقدر الله أن تسمع آية، أو موعظة.. فتتأثر، وقد تبكي، فتحسب أن قلبك قد توهج بهالة الإيمان.. لكنك ما تلبث أن تسقط بعدها بوقت قصير، وكأن شيئًا لم يكن.

تدري لماذا؟

ذنوب كانت في الماضي نسيتها ورواسب علي قلبك مكثت أيام طوال وتعودت علي هذا الحال فترات من الزمان، فالغبار الذي تكوم على قلبك، وتصدأت به روحك في فترة طويلة من حياتك.. لا بد أن تلبث وقتًا طويلًا حتى يخرج هذا الغبار، ويزول هذا الصدا، وينفذ النور إلى زوايا القلب.

وتلك اللحظة التي شعرت فيها بالتغير، تلك التي سمعت فيها الآية، وأحسست بهالة الضوء وهي تحيط بك، قد تكون الشرارة التي تُشعل نار التوبة في صدرك، لكنها ليست النار حتمًا.. تأثرك بها يعتمد عليك، أن تستغل هذه المكرمة الإلهية في بدء التوبة وتركية النفس..

وعليك بالصبر علي طاعة الله واجتتاب المعاصي فهو
ضياء والصلاة نور والصدقة برهان والاستغفار يمحي
الذنوب...

فما هي التوبة وما شروطها حتى نعود إلى الله؟

التوبة هي: الرجوع إلى الله تعالى، وهي واجبة من كل
ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق
بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يُقْلِعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

والثاني: أن يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

والثالث: أن يَعِزَّمَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه
الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالا أو نحوه
رده إليه، وإن كانت حدًا قذف ونحوه مكّنه منه أو طلب عفو،
وإن كانت غيبة استحله منها.

3 - عن أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري - خادم رسول
الله ﷺ - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ
عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ⁽¹⁾))
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(1) الفلاة: الصحراء الواسعة . اللسان 330 / 10 (فلا).

وفي رواية لمسلم: ((لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها⁽¹⁾، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك ! أخطأ من شدة الفرح))⁽²⁾.

ولو تدبرنا حديث النبي ﷺ وتخيلنا هذا المشهد أن رجلاً خرج مرتحلاً على راحلته وفي وسط طريق سفره وهو في أرض صحراء قفرة لا شراب فيها ولا طعام، أنفلتت منه راحلته، وفارقت، وجعل يحاول البحث عنها ويلتفت يمينا ويساراً والخوف يعتصر قلبه من شدة الموقف الذي أصبح فيه دونها، حتى تمكن اليأس من قلبه وأيقنت نفسه أن الموت آت لا محال، وما هو إلا وقت قليل ويأتي بعده هلاكه، ذهب مهموماً عبوس الوجه ونام تحت ظل شجرة يفكر في هلاكه الوشيك بأبشع صورة، وبينما هو على كذلك، إذ راحلته بها قائمة عنده، يا رباه، لقد عادت الحياة إليه الآن، لقد كان من الهالكين والآن صار من الناجيين، فرح فرحاً لا تسعه الدنيا بأكملها، فتذكر فضل الله عليه وأنه أنجاه فممن شدة فرحه قال:

(1) الخطام: الحبل الذي يقاد به البعير. اللسان 4/145 (خطم).

(2) أخرجه: البخاري 8/84 (6309)، ومسلم 8/93 (2747) (7) و(8)

- اللهم أنت عبدي، وأنا ربك..!

من شدة فرحه أخطأ، والإنسان إذا أخطأ في قول من الأقوال وسبقه لسانه إليه فإنه لا يؤاخذ به.

هل رأيت عظيم فرح هذا الرجل؟، هل لك أن تتصوره؟، إن الله سبحانه وتعالى ليفرح بالعبد التائب فرحاً أشد من فرحة هذا الرجل بنجاته من الهلاك والموت، والله سبحانه وتعالى يفرح فرحاً يليق بعظمته وجلاله ولا يشبه فرح المخلوقين فهو سبحانه تعالى علواً كبيراً عن هذا ليس كمثلته شيء..

فالله ينتظرنا أن نطرق بابه تائبين حتى لو أذنبنا في اليوم ألف مرة، فلنتب ونرجع ألف مرة.. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾

4 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يقول: ((والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة))⁽²⁾

يقول «ابن الجوزي»: من عاين بعين بصيرته تنتهي الأمور في بداياتها، نال خيرها، ونجا من شرها، وإنك لا تخلو أن تكون عصيت الله في عمرك، أو أطعته، فأين لذة معصيتك؟ وأين تعب طاعتك؟ هيهات رحل كل بما فيه.

(1) [النور: 31]

(2) أخرجه: البخاري 8/83 (6307).

فليت الذنوب إذ تخلت خلت!.

وأزيدك في هذا بيانا مثل ساعة الموت، وانظر إلى مرارة
الحسرات على التفریط.

أترآك ما علمت أن الأمر بعواقبه؟ فراقب العواقب تسلّم،
ولا تمل مع هوى الحس فتتدم.

5 - عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه،
عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ
مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى
تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))⁽¹⁾ رواه مسلم.

إذا فباب التوبة مفتوح للعبد في أي وقت كان ما لم تطلع
الشمس من مغربها، وما لم يغرغر؛ والغرغرة هي أن تصل
الروح إلى الحلقوم وذلك عند الموت، فإذا وصلت وحضر
الموت فلا توبة وهذا بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ
الآن﴾⁽²⁾

(1) أخرجه: مسلم 8/99 - 100 (2759).

(2) [النساء: 18]

(أأكون مثل هذا؟! - قصة -)

كان في ظلمات تلتها ظلمات، رجلاً يُعرف بدينارٍ رُوي عنه أنه «ما ترك باب معصية إلا وطرقه»، وأمه كانت من العابدات تتصحّه ولا يستجب لها.

في إحدى الليالي كان يسير في المقابر، رجف قلبه لما رآه من مشهد، كانت عظمة من عظام أحد الأموات، فنظر إليها، وهم بالتقاطها، فتفتت بيده، وقف متسماً وقال:

- أسأكون أنا مثل هذه؟!، أغدًا يصير عظمي رفاتاً وجسمي تراباً..

أغرورقت عيناه بالدمع نادماً، ورفع رأسه إلى السماء وقال:

- إلهي! إليك ألقيت مقاليد أمري فاقبلني وارحمني..
فرجع بيته شارد الذهن منكسر القلب لا زال مصدوماً من مشهد الموت..

تقول أمه أنه كان في شكلٍ وحالةٍ ولونٍ لم أعهد لها من قبل، فقال لي:

- يا أمه، ماذا يفعل السيد بعبد أبق منه؟

فقلت له:

- يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يده وقدمه..

فقال:

- أريد جبة من صوف وأقراصاً من شعير وتفعلين بي
كما يفعل بالآبق لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني..

ففعلت ما طلب مني، فكان إذا جنه الليل أخذ في البكاء
والعويل ويقول لنفسه:

- ويحك يا دينار! ألك قوة على النار؟ كيف تعرضت
لغضب الجبار؟

وكذلك إلى الصباح، فقلت له:

- ارفق بنفسك..!

فقال:

- دعيني أتعب قليلاً لعلني أستريح طويلاً يا أمي! إن لي
موقفاً طويلاً بين يدي رب جليل ولا أدري أيؤمر بي إلى
الظل الظليل أو إلى شر مقيل إنني أخاف عناءً لا راحة
بعده وتوبيخاً لا عفو معه..

فقلت:

- فاسترح قليلاً..!

فقال:

- أالراحة أطلب؟ أأضمين لي الخلاص؟!

قلت:

- فممن يضمه لي؟!

قال:

- فدعيني وما أنا عليه كأنك يا أماه غداً بالخلائق

يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار!

فمرت الليالي حتى جاءت تلك الليلة التي مررت عليه

فيها فوجدته يقرأ بتأثر لم يُسبق:

- «فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون»

ويبكي وجعل يضطرب كالحية حتى خر مغشياً عليه

فناديته فلم يجب، فحدثني نفسي أنها تلك هي ساعة وفاته

فقلت بلهفة:

- قرة عيني! أين الملتقى؟

فقال بصوت ضعيف:

- إن لم تجدني في عرصة القيامة فاسألني مالكاً عني..

ثم شهق شهقة مات فيها، وخرجت أنادي وأصرخ:

- أيها الناس! هلموا إلى الصلاة على قتيل النار!

فجاء الناس فلم يُر أكثر جمعاً ولا أغزر دمعاً من ذلك اليوم.

فلما دفنوه نام بعض أصدقائه تلك الليلة فرأوه يتقلب في الجنة، وعليه حلة خضراء وقال لهم ألا اخبروا عني والدتي.

إن الله يجب العبد التائب ويفرح به فرحاً شديداً، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾⁽¹⁾ ، يقول ابن القيم في تفسيرها «الطهر طهران طهر بالماء من الأحداث والنجاسات وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصي وهذا الطهور أصل لطهور الماء، فطهور الماء لا ينفع بدونه بل هو مكمل له معد مهياً بحصوله فكان أولى بالتقديم لأن العبد أول ما يدخل في الإسلام فقد تطهر بالتوبة من الشرك ثم يتطهر بالماء من الحدث».

(1) [البقرة ٢٢٢]

(رق قلبه-قصة-)

كان يجلس على رصيف الطريق، شاب في العشرينات، وفي أذنيه سماعات يستمع بها للموسيقى، حياته مدمرة تمامًا من الناحية الدينية، لا صلاة، ولا إرادة لها، وبصدفة أو أفضل وصفها بأنها رحمة من الله، يمر عليه أحد المارة في الطريق ويحيه ويقول له:

- فلتقف وتأتي للسلام علي..

وقف الشاب، ولم يلبث أن تقدم بضعة خطوات حتى جاءت سيارة مسرعة وحطمت الرصيف وموضع جلوسه تحطيمًا.. تلك اللحظة كانت من اللحظات الفارقة في حياته، ومن اللحظات التي لم تترك عقله في ذاك اليوم، صافح الشاب الرجل المار وحمد الله، وغادره عائدًا لمنزله وفي الطريق سمع أمام المسجد يردد قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾⁽¹⁾.

قدر الله له أن يسمع آية - رحمة منه - فتأثر وبكى، فدخل المسجد فشعر أنه كان تائهاً طوال حياته وقد عاد إلى بيته، ومنذ تلك اللحظة لم يترك المسجد..

(1) {الحديد:16}

6 - وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ: ((رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)) (1).

فمهما كان الذنب عليك ثقیلاً، ومهما أذنبت فلتتب حتى لو كررت فعل الذنب مجدداً تب مجدداً، يقول تعالى ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (2) أي كثير الإنابة والرجوع إلى الله، ويقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (3)

7 - وعن عبدالله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ، يَعْتَادُهُ الضَّيْنَةَ بَعْدَ الضَّيْنَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ لَا يَفَارِقُهُ، حَتَّى يَفَارِقَ الدُّنْيَا، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُضْتَنًّا، تَوَّابًا، نَسِيًّا، إِذَا ذُكِرَ ذَكَرَ)) (4)

فلتعلم أن هنالك ذنوباً مثل الذباب (كلما ذب أب) أي كلما حاولت ان تبعده عنك عاد إليك، وبين لنا النَّبِيُّ ﷺ في الحديث أحوال المؤمنين مع الله، وأوضح أن المؤمن بشرٌ

(1) أخرجه: أبو داود (1516)، وابن ماجه (3814)، والترمذي (3434)، والنسائي في «الكبرى» (10292).

(2) [ص: 30]

(3) [الزمر: 53]

(4) أخرجه الطبراني (11/304) (11810)، والقضاعي في (مسند الشهاب) (809)، والبيهقي في (شعب الإيوان) (7124) باختلاف يسير

يُصِيبُ وَيُخْطِئُ، وَلَكِنَّهُ يَعُودُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ لَا مَحَالَةَ وَقَعَ فِي الْأَمْرِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ النِّقْصِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي يَعْتَرِي كُلَّ الْبَشَرِ، يُقْلَعُ عَنِ الذَّنْبِ، ثُمَّ يَعَاوِدُهُ، فَيَقَعُ فِيهِ حِينًا بَعْدَ آخَرَ، وَيَفْعَلُهُ عَلَى سَبِيلِ الْعَادَةِ الْمُتَقَطِّعَةِ، «أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ، لَا يُفَارِقُهُ»، فَهُوَ دَائِمٌ الْوُقُوعِ فِيهِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الْغَفْلَةِ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَهُوَ خُلِقَ مُمْتَحَنًا يَمْتَحِنُهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالذُّنُوبِ وَالْفِتَنِ، «تَوَابًا»، يَكْتَرُ مِنَ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ كُلِّ ذَنْبٍ، «نَسِيًّا»، يَنْسَى بَعْضَ مَا يَجِبُ فَعَلَهُ كَمَا نَسِيَ أَبُوهُ آدَمَ مِنْ قَبْلُ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ «إِذَا ذُكِّرَ؛ ذَكَرًا»، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا ذُكِّرَ بِاللَّهِ وَعِقَابِهِ؛ تَذَكَّرَ فَيَرْجِعُ عَنِ ذَنْبِهِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّهُ يَتُوبُ، ثُمَّ يَنْسَى فَيَعُودُ، ثُمَّ يَتَذَكَّرُ فَيَتُوبُ، فَكُلَّمَا وَقَعَ فِي الذَّنْبِ؛ لَمْ يَبْيَأْسَ، بَلْ يُسْرِعُ الرُّجُوعَ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ.

ولذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَصِرُ عَلَيْهِ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، وليعرف كل مسلم ومؤمن أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، فعلينا أن نجدد التَّوْبَةَ إِلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ تَوْبَةَ نَصُوحَةٍ.

(1) [النساء: 28]

(2) [آل عمران: 135]

وقفة 2



بمقدار إبتعادك عن القرآن، بمقدار ما يقترب
الشیطان منك..

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ
شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

سورة الزخرف- 36.

كُلُّ الأوقات مناسبة للبدء من جديد..





باب رحمة الله تعالى وحسن الظن به

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁽¹⁾

8 - عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: ((يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم: أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف⁽²⁾)). رواه الترمذي.

وفي رواية غير الترمذي: ((احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وأعلم: أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، وأعلم: أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً⁽³⁾)).

(1) [الأنعام: 54]

(2) أي فرغ من الأمر وجفت كتابته، كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد. دليل الفالحين 1/288.

(3) أخرجه: الترمذي (2516). وأخرج اللفظ الثاني: أحمد 1/307..

أُوتِيَ النَّبِيُّ ﷺ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، فَكَانَ ﷺ يَجْمَعُ الْمَوَاعِظَ الْجَمَّةَ وَالْوَصَايَا الْجَامِعَةَ، وَالْحَكَمَ الْبَالِغَةَ فِي الْكَلَامِ الْقَلِيلِ، وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَرْبِيَةَ الصِّغَارِ وَتَعْلِيمَهُمْ أُمُورَ دِينِهِمْ؛ مِنَ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ لِلْغُلَامِ احْفَظِ اللَّهَ، أَي: احْفَظْ حُدُودَهُ وَحُقُوقَهُ وَأَمْرَهُ وَنَوَاهِيَهُ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ بَحَيْثُ يَجِدُكَ فِي الطَّاعَاتِ وَالقُرْبَاتِ، وَلَا يَجِدُكَ فِي الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ، وَمِنْ أَعْظَمَ مَا يُحَافِظُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالطَّهَارَةُ الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ، وَحِفْظُ الرَّأْسِ وَمَا وَعَى وَهُوَ يَتَضَمَّنُ حِفْظَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ، وَحِفْظَ الْبَطْنِ وَمَا حَوَى، وَيَتَضَمَّنُ حِفْظَ الْقَلْبِ عَنِ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَحْرَمَاتِ، وَكَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمَ مَا يَنْبَغِي حِفْظُهُ مِنْ نَوَاهِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: الْفَرْجُ، «يَحْفَظُكَ»، أَي: إِذَا اتَّقَيْتَهُ وَحَفَظْتَهُ كَانَ جَزَاؤُكَ أَنْ يَصُونَكَ مِنَ الشَّرُورِ وَالْمُؤَبِّقَاتِ وَيَحْفَظُكَ فِي نَفْسِكَ وَأَهْلِكَ وَمَالِكَ وَدِينِكَ وَدُنْيَاكَ، وَيَحْفَظُكَ مِنَ مَكَارِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَحِفْظُ اللَّهِ لِعَبْدِهِ نَوْعَانِ؛ أَحَدُهُمَا: حِفْظُهُ لَهُ فِي مَصَالِحِ دُنْيَاهُ، كَحِفْظِهِ فِي بَدَنِهِ وَوَلَدِهِ، وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (1)؛ فَمَنْ حَفِظَ اللَّهَ فِي صِبَاهِ وَقُوَّتِهِ، حَفِظَهُ اللَّهُ فِي حَالِ كِبَرِهِ وَضَعْفِ قُوَّتِهِ، وَمَتَّعَهُ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ.

(1) [الرعد: 11]

النوع الثاني: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان، وعلى العكس من هذا؛ فمن ضيع الله ضيعة الله، فضاع بين خلقه، حتى يدخل عليه الضرر والأذى ممن كان يرجو نفعه من أهله وغيرهم.

«إذا سألت فاسأل الله»، أي: إذا أردت أن تطلب شيئاً، فلا تطلب إلا من الله، «وإذا استعنت فاستعن بالله»، أي: وإذا أردت العون فلا تطلب العون إلا من الله ولا تستعن إلا بالله يقول تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁽¹⁾.

«أن الأمة لو اجتمعت»، وهنا يأتي في ذهني قصة الطفل «ريان»، أنه وفي اليوم الأول من فبراير لعام 2022م كان هنالك طفل خفيف الظل يدعى ريان من المغرب، خرج للعب واللهو كعادة كل الأطفال في سنه، لكنه لم يعد، وبعد وقت من البحث اكتشفوا أن الطفل قد سقط في بئر، الصعوبة تكمن في أن عمقه يصل إلى 62 متراً، وأن الطفل قد سقط فيه وعلق على عمق 32 متراً، وهذا البئر ضيق جداً.

وقتها اجتمع العالم بأسره، بأطبائه ومهندسيه واعلامه وكل التكنولوجيا الحديثة، والأجهزة والأمة كلها خلفه من الشاشات، كلهم هدفهم أن ينقذوا هذا الطفل، وبرغم اجتماعهم على ذلك إلا أن الله لم يكتب له النجاة، وفاضت

(1) [سورة الفاتحة:5]

روحه إلى خالقها، وصدق قول الرسول ﷺ «وَأَعْلَمَ: أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ»

«رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» «رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ»، أي: كُتِبَتْ مَقَادِيرُ الْخَلَائِقِ جَمِيعًا، وَرُفِعَ الْقَلَمُ، فَلَا زِيَادَةَ وَلَا نَقْصَانَ فِي كِتَابَةِ الْأَحْكَامِ، «وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، أي: جَفَّتِ الصُّحُفُ بِمَا كَتَبْتَهُ الْأَقْلَامُ فِيهَا مِنْ مَقَادِيرِ الْخَلَائِقِ، فَلَا تَبْدِيلَ وَلَا تَغْيِيرَ، فَكُلُّ شَيْءٍ قَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

9 - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرهما عن ولدها خشية أن تُصيبه))⁽¹⁾
 رحمة الله تعالى وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ، وَرَحْمَتُهُ فِي الْآخِرَةِ أَضْعَافُ مَا جَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا، وَتَكُونُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

وهذا من عَظِيمِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ أَنْزَلَ لَهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ جُزْءًا يَسِيرًا يُصَلِّحُهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَادَّخَرَ لَهُمُ الْجُزْءَ الْأَكْبَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا أَيْضًا يَدُلُّ عَلَى سَعَةِ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ

(1) أخرجه البخاري (6000) واللفظ له، ومسلم (2752)

في الآخرة؛ فإذا كانت رحمةً واحدةً فقط يتراحمُ بها كلُّ الخلقِ في الدنيا؛ فما بالنا بتسعةٍ وتسعينَ جزءاً منها؟! وقد جاءَ في روايةٍ مُسلمٍ من حديثِ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فإذا كان يومُ القيامةِ أكْمَلَهَا بهذهِ الرَّحمةِ»؛ وفي هذا إشارةٌ إلى أَنَّ الرَّحمةَ التي في الدنيا بين الخلقِ تكونُ فيهم يومَ القيامةِ يتراحمون بها أيضاً.

ولنا في قصة أهل الأخدود كيف وصفهم الله، وأهل الأخدود قتلوا العالم وغلّام الأخدود، ولما آمنت الناس شقوا لهم الأخاديد وحرقوهم، وماذا قال الله في وصفهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَتُوبُوا﴾⁽¹⁾ أي أن الله سبحانه وتعالى لو أنهم تابوا وآمنوا لغفر لهم رغم كل ما فعلوه ورحمهم.

10 - وعن أبي العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فيما يروي عن ربه، تبارك وتعالى، قال: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ⁽²⁾ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أضعافٍ كثيرة، وَإِنْ هَمَّ

(1) [البروج: 10]

(2) همّ بالأمر بهم، إذا عزم عليه.

بَسِيئَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ تَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ
هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)) (1) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي الحديث: بَيَانُ سَعَةِ فَضْلِ اللهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ،
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمِهِ وَعَفْوِهِ.

11 - عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:
((لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ
الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)) (2) رواه الترمذي.

«تَغْدُوا خِمَاصًا»؛ يعني: جائعة، ليس في بطونها شيء،
لكنها متوكلة على ربها عز وجل.

«وَتَرُوحُ بِطَانًا»؛ أي: ترجع في آخر النهار، ممتلئة البطون،
من رزق الله عز وجل.

فينبغي للإنسان أن يعتمد على الله - تعالى - حق الاعتماد،
ويعلم ثانياً: أنه ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها،
حتى الطير في جو السماء، لا يمسكه في جو السماء إلا الله،
ولا يرزقه إلا الله عز وجل. كل دابة في الأرض، من أصغر ما
يكون كالذر، أو أكبر ما يكون، كالفيلة وأشباهاها، فإن على الله
رزقها، كما قال الله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا

(1) أخرجه: البخاري 8/128 (6491)، ومسلم 1/83 (131) (207) و(208).

(2) أخرجه: ابن ماجه (4164)، والترمذي (2344).

وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا⁽¹⁾، ولقد ضلَّ من أساء الظنَّ
بربِّه، وكثير من الناس عندهم سوءُ ظنٍّ بالله، ويعتمدون على
الأمر الماديَّة المنظورة، ولا ينظرون إلى المدى البعيد، وإلى
قدرة الله عزَّ وجلَّ، وإنَّه هو الذي يرزق، فالمتوكِّل: هو الذي
يفعل الأسباب متوكِّلاً على الله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال عليه
الصلاة والسلام: «كما يرزق الطَّيْرُ تَغْدُوا خِمَاصًا» تذهب
لتطلب الرزق، ليست الطيور تبقى في أوكارها، لكنَّها تغدو
وتطلبُ الرِّزْقَ.

(1) [هود: الآية 6]

(سر اسمه التوكل والدعاء-قصة-)

يقول دكتور مصطفى محمود: أنه يتذكر حكاية له لا ينساها قط، أنه كان في المغرب 1968م تحديداً في مدينة الرباط، يقول أنه قابل سيدة فرنسية في الستين من عمرها، فحكّت له حكاية من أغرب وأعجب ما سمع، قالت:

- أنا منذ ثلاثين عاماً، كنت ضمن فوج سياحي من فرنسا للمغرب كي نستمتع بالصيف، ونزلنا في أحد الفنادق، وفي إحدى الليالي رأيت في المنام رؤيا غريبة، رأيت رجلاً جميل الشكل والمنظر أبيض الثياب، وألقي في روعي أنه النبي محمد ﷺ، فأخرج مصحفاً وناولني إياه، بعدها أستيقظت من المنام، وقد هزني هذا الحلم جداً، فلم يكن في خاطري أن أحلم بمثل هذا الحلم قط، حكيت لزميلاتي الفرنسيات فقلن لي « أنها أضغاث أحلام ولا تفكري كثيراً في هذا الأمر كأن شيئاً لم يكن»، حاولت أن أعمل بنصيحتهم، لكن الحلم لم يفادر تفكيري أبداً، فشعرت أن الحلم كان نوعاً من الإشارة إلى دراستي للإسلام، فقلت لزميلاتي فوصفني جميعهن بالجنون، ولكنني أصريت على ما نويت عليه، ومكثت في المغرب، فتوسعت في دراسة الإسلام، واللغة

العربية، وأحبت هذا الدين وأقتنعت به ودارت الأيام وبعد عشرة سنوات، شعرت بورم في منطقة الصدر، تعجبت، لا أعلم متى جاء؟، ذهبت للطبيب فقال لي «هذا سرطان في الثدي وأنه في طور متأخر لأنه انتشر في العضلات وفي جدار الثدي ولا يمكن عمل الجراحة»، في نفس الوقت كان هنالك فوج سياحي من فرنسا ونفس زميلاتي، فسألوا علي فزاروني فوجدوني راقدة في الفراش وقلت لهم أن الطبيب قال «لا يوجد أمل»، فقلن لي: « يجب عليك أن تأتي معنا إلى باريس، حيث الطب المتقدم»، فرفضت طلبهم لعدم وجود الرغبة لي في العودة فقلن لي: «لقد تركناك في الماضي تفعيلين كيفما تشائين وانظري نتيجة دراستك للضلال كيف أدى بك في النهاية»، في النهاية وبعد محاولات طويلة وإلحاح شديد وسخرية مني رفضت الذهاب معهن ورحلن إلى باريس، وفي نفس الليلة بعدما غادرن، مكثت أصلي وأدعو الله كأنه أمامي، وأقول «يا رب إن أهلي وأصدقائي يسخرون مني» وظللت أبكي واصلت بإحساس كأنما كل خلية في جسمي تصلي لله، وفي وسط البكاء غفوت ولم استيقظ إلا في الصباح، وضعت يدي موضع الورم فلم أجد شيئاً، أسرعرت بالذهاب إلى الطبيب، فحصني وقال: «لا أصدق ألم تأتي لي بسرطان الثدي في مرحلة متأخرة»، فهرع إلى

مكتبه وأخرج كشافاً كان يدون فيه المرضى وشكواهم من صدمته وذهوله حتى وجد اسمي وأمامي مكتوب «سرطان الثدي في مرحلة متأخرة»، أغلق الكشف وقال لي: «لقد عاد الثدي طبيعياً بلا أي ورم»..

انتهت السيدة الفرنسية من قصتها وقالت لي:

- هنالك جوهرة يا أيها المسلمون لا تعرفون قيمتها ألا وهي الإسلام، وحقيقة التوكل على الله والدعاء بصدق، أنتم لا تعرفون قيمة ما مَنَّ الله عليكم به..

هذا الكلام صادر من سيدة فرنسية، ولو لم أرى صور الأشعة والتحليل لم أكن لأصدقها..

ومرت الأيام منذ تلك القصة، وفي أحد الأيام شعرت بألم صعب جداً وأسرعت للطبيب، ثم أتضح أنها حصوة كبيرة الحجم في الكلى لا ينفع معها شيء سوى الجراحة، وكان ذلك في سنة 1969، ولم يكن الطب وقتها متطوراً مثل اليوم، وكنت مرعوباً جداً منها وليس عندي قدرة على تحمل تلك الجراحة من الناحية البدنية، ذهبت إلى سجادة الصلاة وظللت أبكي وادعو الله كثيراً، صليت كأن كل خلية من جسمي تستنجد بخالقها، وبعد نصف ساعة شعرت برغبة في الذهاب للحمام - أعزكم الله - وإذا بها تتفتت وتخرج من جسمي مثل التراب، فسبحان الله، الدعاء وحسن الظن به هو من أنجاني، وأنجى تلك السيدة الفرنسية، وكما قالت: «أنتم تملكون جوهرة

عظيمة تُسمى الإسلام لا تعرفون قيمتها ولا تعرفون قيمة الصلاة والخشوع والدعاء وحسن الظن بالله.».

12 - عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:
بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزَيْتِهَا، فَاقْدَمَ
أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي
عُبَيْدَةَ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ
تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ رَأَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ:
(إِظْنُكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ قَالُوا: أَجَلٌ يَا رَسُولَ
اللَّهِ، قَالَ: فَأُبَشِّرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى
عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ
عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا
أَهْلَكْتَهُمْ.)) (1)

الْفَقْرُ وَالْغِنَى مَحْنَتَانِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَلِيَّتَانِ يَبْلُو بِهِمَا
أَخْيَارَ عِبَادِهِ؛ لِيُظْهَرَ صَبْرَ الصَّابِرِينَ، وَشُكْرَ الشَّاكِرِينَ، وَقَدْ
كَانَ صلى الله عليه وسلم يَسْتَعِيدُ مِنَ الْفَقْرِ، وَيُحَذِّرُ مِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى وَالْمَالِ.

فَأَقْسَمَ لَهُمْ قَائِلًا: «فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ
أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا»، وَالْمُرَادُ بِهِ الْغِنَى
وَكَثْرَةُ الْمَالِ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي قَبْلَكُمْ،
فَتَنَسَابَقُوا إِلَى تَحْصِيلِهَا، فَتُؤَدِّي إِلَى هَلَاكِكُمْ؛ بِسَبَبِ التَّنَازُعِ

(1) صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 4015

عليها، والرُّكُونِ إليها، والاشتغالِ بها عنِ الآخِرَةِ، كما حدَّثَ مع الأُمَمِ مِنْ قَبْلِكُمْ.

وفي هذا إنذارٌ بما سَيَقَعُ، وقد وَقَعَ ما أَخْبَرَ ﷺ؛ إذ فَتَحَتِ الدُّنْيَا بَعْدَهُ وَبُسُطَتْ، وَحَصَلَ التَّحَاسُدُ وَالتَّقَاتُلُ وَأَنَّ المُنَافَسَةَ فِي الدُّنْيَا قَدْ تَجَرُّ إِلَى هَلَاكِ الدِّينِ. وما هو مَعْرُوفٌ مِمَّا يَشْهَدُ بِمِصْدَاقِ خَبَرِهِ ﷺ.

الدنيا فانية بكل ما فيها، فلما التقاتل والتشاجر عليها، التقاتل على الأراضي وعلى جمع المال والانشغال عن الآخرة وفي نهاية المطاف الموت وترك كل هذا..

يجب أن نعلم أننا كائنات أبدية لم نخلق للموت والفناء النهائي، لكن ما نحن فيه في الدنيا هي حالة مؤقتة، فكل الجهد الذي نجتهد به يجب أن يكون لأجل الآخرة، لأجل رحمة الله والفوز بالجنة، لا لنقاتل الدنيا ونجتهد لأجل الدنيا، فلو أيقن الإنسان يقيناً حقيقياً أن الدنيا إمتحان وورقة الإجابة يمكنها أن تُسحب وتؤخذ منك في أي وقت، ولنا في قصة أحد لاعبي كرة القدم، عندما كان كل شيء طبيعياً، حتى فجأة توقف قلبه في أثناء المباراة، سقط على الأرض، وسرعان ما حملته سيارة الإسعاف للمستشفى، ووضِع على الأجهزة في العناية المركزة، وعاد النبض للقلب بعد مدة وعادت الحياة، وعاد للمنزل، يقول اللاعب أن ما حدث معه جعله يرجع إلى الله ويصبح أقرب إليه محافظاً على صلواته، وبعد ثلاثة

أشهر وهو أقرب ما يكون إلى العافية قبضت روحه، لم يتوفه ربه وهو أقرب ما يكون إلى الموت، بل قبضه وهو أقرب ما يكون إلى العافية، لتعلم أن الموت هو الموت ليس له قوانين، مهيب مخيف يخطف المعافى والمريض والصغير والكبير ليس له سبب ولا بوادر ولا تنبيهات واما قريب سيقال مات.. فإننا لله وإنا إليه لراجعون..

يقول تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، فكم ضاع بسبب حب الدنيا والاعتزاز بها من حقوق، وكم قطعت أرحام، وكم قامت حروب قضت على الأخضر واليابس، وكم وكم مع أن الله تعالى ينادي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾⁽²⁾، ولأن الدنيا أصبحت هي الشغل الشاغل الذي ملأ قلوب كثير من الناس اليوم، فقد انتشرت بينهم أمراض القلوب من حسد، وحقده وكذب، وبغضاء، وشحناء، وغيرها من الأمراض التي سادت بين الناس، لذلك ترى دائماً جمل مثل « لقد تغير الناس والزمان » أي صار للأسوأ وكل ذلك بسبب التنافس في الدنيا..

(1) {العنكبوت: 64}

(2) {فاطر: 5}

13 - فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً. فَقَالَ: ((مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلُّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا))⁽¹⁾.

وفي هذا الحديث يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ»، أي: من نومه، «وقد أَثَرَ فِي جَنْبِهِ»، أي: كانت أَعْوَادُ الْحَصِيرِ وَخِيوطُهُ مَوْثِرَةً فِي جَنْبِهِ، وَكَانَ الْحَصِيرُ يُنْسَجُ مِنْ وَرَقِ النَّخِيلِ؛ فَقُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً»، أي: فِرَاشًا أَنْعَمَ وَأَبْسَطَ مِنْ هَذَا الْحَصِيرِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا»، أي: لَيْسَ لِي أَلْفَةٌ وَمَحَبَّةٌ مَعَ الدُّنْيَا، «مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ»، أي: مِثْلِ رَاكِبٍ يَسِيرُ فِي طَرِيقٍ فَتَعَبَ، فَنَزَلَ وَ«اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ»، أي: اتَّخَذَ مِنْ أَوْرَاقِهَا ظِلًّا مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ، «ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»، أي: يَسْتَرِيحُ قَلِيلًا ثُمَّ يَكْمُلُ سِيرَهُ، وَهَذَا التَّشْبِيهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَوِّرُ حَيَاةَ الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا كَعَابِرِ السَّبِيلِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَبْلُغَ آخِرَتَهُ بِأَمَانٍ وَفِي غَيْرِ تَبَاطُؤٍ مِنْهُ؛ لِيَتَعَمَّ بِمَا فِي الدُّنْيَا عَلَى مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَهَذَا إِرْشَادٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَدَمِ الْإِسْتِغَالِ بِالدُّنْيَا وَمَلذَّاتِهَا، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي الْإِسْتِغَالُ بِالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهَا دَارُ الْقَرَارِ، وَحَثٌّ عَلَى تَرْكِ لَهْوِ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا، وَأَلَّا يَكُونَ الْإِسْتِغَالُ إِلَّا بِالْآخِرَةِ وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ

(1) أخرجه: ابن ماجه (4109)، والترمذي (2377).

النبي ﷺ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى التَّمَتُّعِ بِهَا لَوْ
أَرَادَ .

14 - وعن المُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
(مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبَعَهُ فِي
الْيَمِّ⁽¹⁾، فَلْيَنْظُرْ بِمِ يَرْجِعُ!) ((رواه مسلم⁽²⁾).

15 - وعن جَابِرِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ وَالنَّاسِ
كَفَفْتِيهِ، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسْكَ مَيِّتٍ، فَتَنَاولَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ:
(أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدَرَاهِمٍ؟) فقالوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ
لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ ثُمَّ قَالَ: ((أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟)) قالوا:
وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا، إِنَّهُ أَسْكَ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فقال:
(فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ))⁽³⁾.

فالدُّنْيَا هَيِّنَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَضَيْلَةٌ، وَلَا تَعْدِلُ عِنْدَ
اللَّهِ تَعَالَى مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَلَا تُسَاوِي شَيْئًا، فَالنجاة تكمن في
الرضا والزهد في الدنيا لا في التنافس والتقاتل عليها، ومهما
تنافست وتقاتلت لن تصل إلى درجة الرضا عن نفسك لأن
كل ما تفعله لأجل الدنيا، فالزهد في الدنيا هو سبيل الرضا

(1) أي: البحر . النهاية 5/300 .

(2) أخرجه: مسلم 8/56 (2858) .

(3) أخرجه: مسلم 8/210 (2957) .

يقول عباس محمود العقاد في وصف التنافس مع الدنيا
لسبيل الرضا:

صَغِيرٌ يَطْلُبُ الْكِبْرَ وَشَيْخٌ وَدَّ لَوْ صَغُرَا
وَخَالٍ يَشْتَهِي عَمَلًا وَذُو عَمَلٍ بِهِ ضَجِرَا
وَرُبُّ الْمَالِ فِي تَعَبٍ وَفِي تَعَبٍ مَنِ افْتَقَرَا
وَيَشْقَى الْمَرْءُ مِنْهُزَمًا وَلَا يَرْتَاحُ مِنْتَصِرَا
وَلَا يَرْضَى بِأَلَا عَقَبٍ فَإِنْ يُعْقَبُ فَلَا وَزَرَا
وَيَبْغِي الْمَجْدَ فِي لَهْفٍ فَإِنْ يَظْفَرُ بِهِ فَتَرَا
وَيَخْمَدُ إِنْ سَلَإَ فَإِذَا تَوَلَّاهُ قَلْبُهُ زَفَرَا
فَهَلْ حَارُوا مَعَ الْأَقْدَارِ أَوْ هُمْ حَيْرُوا الْقَدْرَا؟
شُكَاةٌ مَا لَهَا حَكْمٌ سِوَى الْخَصْمَيْنِ إِنْ حَضَرَا

فلا راحة في الدنيا... فمهما نافستها ما زادتك إلا هلكة،
فالدنيا دار شقاء، ولا يزول هذا الشقاء إلا مع أول غمسة
يغمسها المؤمن في الجنة..

16 - فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ))⁽¹⁾.

17 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((انظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزِدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ))⁽²⁾.

القناعة من أجل أخلاق المؤمنين، وهي علامة على الرضا بقدر الله، كما أنها تهون صعوبة الحياة.

وفي هذا الحديث يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ»، أي: مَنْ هُوَ أَقْلُ مِنْكُمْ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَتَقْسِيمِهَا، «وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ» فِيهَا؛ فَإِنَّ هَذَا النَّظَرَ «أَجْدَرُ»، أي: أَحَقُّ «أَنْ لَا تَزِدُّوا»، أي: لَا تَحْتَقِرُوا «نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»؛ وَذَلِكَ أَنْ نَظَرَ الْإِنْسَانَ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ؛ يُؤَدِّي إِلَى اسْتِحْقَارِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ مِنَ النِّعَمِ، فَيَسْتَقِلَّ النِّعْمَةَ وَيُعْرِضَ عَنِ الشُّكْرِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَصْبِرُ عَلَى الْمَقْدُورِ فَلَا يَسْخَطُ، وَهُوَ غَيْرُ رَاضٍ بِهِ؛ فَالرُّضَا أَمْرٌ آخَرُ،

(1) أخرجه: مسلم 8/135 (2807) (55).

(2) أخرجه: البخاري 8/128 (6490)، ومسلم 8/213 (2963) (8) و(9).

وقد يُؤدِّيهِ ذلك إلى كُفْرانِ النِّعْمَةِ، وأنَّه ليس عليه شيءٌ من النِّعْمِ؛ فيَكْفُرُ نِعْمَةَ اللَّهِ عليه، ولذلك قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾⁽¹⁾، وإذا أَعْرَضَ عن التَّأَمُّلِ في أحوالِ أَهْلِ الدُّنْيَا وما وَسَّعَ عليهم، هَانَ عليه ما هَمَّهُ واستَكْتَرَّ ما أوتِيَ، وإذا نَظَرَ بعَيْنِ الحَقِيقَةِ، فالمكثُرُ ليس معه إِلَّا هُمُ الإِكْتَارُ وحَفْظُ المَالِ، والدُّنْيَا سَريعَةُ الزَّوَالِ، وإذا تحوَّلَ المَالُ وضاعَ، فإنَّهُم لَا يُغْبَطُونَ على ذلك، بل إنَّهُم يُرْحَمُونَ ويُرثَى لهم.

18 - وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((يَتَّبِعُ المَيْتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ: فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ. ⁽²⁾

فلا تتعلقوا بفتنة الحياة الدنيا، فإنها مهلكة..، فلا مالك ولا أهلك سينفعوك، ولن ينفعك إلا عملك، فلا تجعل حياتك كلها من أجل جمع الأموال ومن أجل شهواتك الدنيوية.. لأن العيش ليس لتلك الدنيا الفانية، فمن تعلق بفان يفنيه، ولا بد أن يكون التعلق بالباقي، ولا يبقى إلا وجه الله الحي الذي

(1) [طه: 131].

(2) أخرجه: البخاري 8/134 (6514)، ومسلم 8/211 (2960) (5).

لا يموت وكما قال النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ
الْآخِرَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ (1).

19 - فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((تَعَسَ
عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدَّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ⁽²⁾، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ
رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ))⁽³⁾.

فَأَشَقَى النَّاسَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَشَهْوَتَهُ، فَيَكُونُ عَمَلُهُ
كُلَّهُ لِتَحْصِيلِ هَذِهِ الشَّهْوَةِ وَطَلْبِهَا؛ فَهُوَ تَارِكٌ مَا خُلِقَ لِأَجْلِهِ،
وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى، مُتَمَسِّكٌ بِتَحْصِيلِ شَهْوَاتِهِ بِغَيْرِ رِضَا
اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ مُضَيِّعٌ لِآخِرَتِهِ بِدُنْيَاهُ، وَأَسْعَدُ النَّاسَ مَنْ عَاشَ
لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، طَالِبًا رِضَاهُ، وَمَا أَعَدَّ سُبْحَانَهُ لِلصَّالِحِينَ مِنْ
عِبَادِهِ.

وفي هذا الحديث تحذيرٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ أَنْ
يَكُونَ عَبْدًا لَشَهْوَاتِهِ، وَحَثُّ عَلَى أَنْ يَعِيشَ الْمُؤْمِنُ حَيَاتَهُ لِلَّهِ،
وَفِي سَبِيلِهِ سُبْحَانَهُ. فَيَقُولُ ﷺ: «تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ
الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ»، يَعْنِي: عَثَرَ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ،
وَالدِّينَارُ مِنَ الذَّهَبِ، وَالدَّرْهَمُ مِنَ الفِضَّةِ، وَالخَمِيصَةُ: كِسَاءٌ
أَسْوَدٌ مُرَبَّعٌ، لَهُ خُطُوطٌ، وَسَبَبُ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ أَنَّهُ: إِنْ أُعْطِيَ

(1) أخرجه البخاري 8/109 (6413)، ومسلم 5/188 (1805) (127)

(2) القطيفة: كساء له خمل، والخميصة: ثوب خز أو صوف مُعَلَّمٌ ..

(3) أخرجه البخاري 8/114 (6435) ...

مُرَادِهِ مِنَ الْمَالِ وَاللَّذَاتِ رَضِيَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ مَنَعَ كَانَ
سَاخِطًا غَاضِبًا.

يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ
أَصَابَهُ خَيْرٌ اِظْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾⁽¹⁾

20 - فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
((قَارِبُوا وَسَدُّوا، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ))
قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي
اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ))⁽²⁾.

21 - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
((لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ
الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ تُوذِي الْمُسْلِمِينَ)).

وفي رواية: ((مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ،
فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا نُحِينَ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ، فَأَدْخَلَ
الْجَنَّةَ))⁽³⁾.

(1) {الحج: 11}

(2) أخرجه: البخاري 7/157 (5673)، ومسلم 8/141 (2816) (76).

(3) أخرجه: البخاري 1/167 (652)، ومسلم 6/51 (1914) و8/34 (1914).

(127) و(128) و(129).

وفي هذه الأحاديث بشرى عن عظيم رحمة الله تعالى، وكيف لا وهو من قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁽¹⁾، فرب عملٍ تستقله فيدخلك الجنة فأحسن الظن بالله.

22 - : عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل، قال: ((أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتهُ هرولة))⁽²⁾ رواه البخاري.

وفي هذا الحديث القدسي يروي النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه سبحانه وتعالى أنه يقول: «أنا عند ظن عبدي بي»، يعني: إن ظن بالله خيراً فله، وإن ظن به سواً ذلك فله، وحسن الظن بالله عز وجل يكون بفعل ما يوجب فضل الله ورجاءه، فيعمل الصالحات، ويحسن الظن بأن الله تعالى يقبله، فالله سبحانه عند منتهى أمل العبد به، وعلى قدر ظن واعتقاد العبد فيه، ويكون عطاءً الله وجزاؤه من جنس ما يظنه العبد في الله ثواباً أو عقاباً، خيراً أو شراً، فمن ظن بالله أمراً عظيماً وجدّه وأعطاه الله إياه، والله لا يتعاطمه شيء، أما

(1) {الأعراف:156}.

(2) صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 7405، أخرجه مسلم (2675) باختلاف يسير.

أَنْ يُحَسِّنَ الظَّنَّ وَهُوَ لَا يَعْمَلُ، فَهَذَا مِنْ بَابِ التَّمَنِّيِّ عَلَى اللَّهِ،
وَمَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ فَهُوَ عَاجِزٌ.

وَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرْتَنِي»، أَي: إِنْ ذَكَرْتَنِي
العَبْدُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ أَوْ غَيْرِهَا «فِي نَفْسِهِ»، مُنْفَرِدًا عَنِ
النَّاسِ، «ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ»، فِي جَمَاعَةٍ مِنْ
النَّاسِ، «ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»، وَهُمْ الْمَلَأُ الْأَعْلَى.

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرِ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا،
وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ
هَرَوَلَةً»، أَي: أَنَّ إِقْبَالَ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ إِذَا أَقْبَلَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكُونُ أَكْثَرَ مِنْ إِقْبَالِ الْعَبْدِ عَلَيْهِ، فَاَقْبَلْ عَلَى
اللَّهِ بِقَلْبِ خَالِصٍ.

23 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ
أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرِّ جَنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ (رضي الله عنه)، عَنْ
النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِيمَا يَرُوي، عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: ((يَا
عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا
فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَطَعْدُونِي
أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطَعْمُونِي
أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكَسُونِي
أَكْسِكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُحْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَعْضُرُ
الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَعْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ

تَبَلَّغُوا ضُرِّي فَتَضَرُّونِي، وَلَنْ تَبَلَّغُوا نَضْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَنْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمُخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»⁽¹⁾.

وفي هذا الحديث يروي أبو ذر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَوَى عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: «يَا عِبَادِي» فَخَاطَبَ عِبَادَهُ مِنَ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، «إِنِّي حَرَمْتُ» أَي: مَنْعْتُ «الظَّلْمَ عَلَى نَفْسِي» وَالظَّلْمُ هُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَقَدْ تَقَدَّسَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنِ ذَلِكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ، «وَجَعَلْتَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا» أَي: حَكَمْتُ بِتَحْرِيمِهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَأَلْزَمْتُهُ بِإِيَّاكُمْ، فَإِذَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ فَلَا يَظْلَمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَهَذَا تَوْكِيدٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَجَعَلْتَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا» وَزِيَادَةٌ تَغْلِيظُ فِي تَحْرِيمِهِ.

«يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ» أَي: كُلُّكُمْ مُبْتَعِدٌ عَنِ طَرِيقِ الْهُدَى، وَعَنْ كُلِّ كَمَالٍ وَسَعَادَةٍ دِينِيَّةٍ، وَدُنْيَوِيَّةٍ، «إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ»، وَظَاهِرُ

(1) أخرجه: مسلم 8/17 (2577) (55).

هذا أَنَّهُمْ خُلِقُوا عَلَى الضَّلَالِ إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنَّ
الهُدَايَةَ لِمَنْ حَصَلَتْ إِنَّمَا هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ،
وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ مُفْتَقِرُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي
جَلْبِ مَصَالِحِهِمْ وَدَفْعِ مَضَارِّهِمْ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأَنَّ
الْعِبَادَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ
يَتَفَضَّلِ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْهُدَى وَالرِّزْقِ؛ فَإِنَّهُ يُحَرِّمُهُمَا فِي الدُّنْيَا،
وَلِذَلِكَ قَالَ: «فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِيكُمْ» أَي: سَلُونِي الْهُدَى وَاطْلُبُوهُ
مِنِّي أَوْفِقْكُمْ لِلهُدَايَةِ.

وَمَا فَرَغَ سُبْحَانَهُ مِنَ الْامْتِنَانِ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ، شَرَعَ فِي
الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ تَكْمِيلًا لِلْمَرْتَبَتَيْنِ، مُقْتَصِرًا عَلَى الْأَمْرَيْنِ
الْأَهْمَيْنِ مِنْهَا، وَمَا هُوَ أَصْلٌ فِيهَا، وَمُكْمَلٌ لِمَنَافِعِهَا، وَلَا
يُسْتَعْنَى عَنْهُمَا؛ وَهَمَا: الْأَكْلُ وَاللَّبْسُ، فَقَالَ: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ
جَائِعٌ» مُحْتَاجٌ إِلَى الطَّعَامِ «إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتَهُ» فَبَسَطَتْ عَلَيْهِ
الرِّزْقَ، وَأَغْنَيْتَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّاسَ عَبِيدٌ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا،
وَخَزَائِنُ الرِّزْقِ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ لَا يُطْعِمُهُ بِفَضْلِهِ بَقِيَ
جَائِعًا، «فَاسْتَطْعَمُونِي»، أَي: اطْلُبُوا الطَّعَامَ وَتَيَسَّرَ الْقُوتِ
مِنِّي، «أَطْعَمْكُمْ»، أَي: أَيَسِّرْ لَكُمْ أَسْبَابَ تَحْصِيلِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا
عِبَادِي» وَكَرَّرَهُ لِلتَّنْبِيهِ، «كُلُّكُمْ عَارٍ» مِنَ اللَّبَاسِ وَالسُّتْرِ مُحْتَاجٌ
إِلَى سِتْرِ عَوْرَتِهِ «إِلَّا مَنْ كَسَوْتَهُ» فَرَزَقْتَهُ الْكِسْوَةَ، فَاطْلُبُوا مِنِّي
الْكِسْوَةَ، أَيَسِّرْ لَكُمْ سِتْرَ عَوْرَاتِكُمْ وَأُزِلْ عَنْكُمْ مَسَاوِيَّ كَشْفِ
سَوَاءَاتِكُمْ، وَكُلُّ هَذَا مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى فَقْرِنَا وَعَجْزِنَا عَنْ جَلْبِ
مَنَافِعِنَا وَدَفْعِ مَضَارِّنَا بِأَنْفُسِنَا، إِلَّا أَنْ يُيسِّرَ اللَّهُ ذَلِكَ لَنَا بَأَنْ

يَخْلُقَ ذَلِكَ لَنَا وَيُعِينَنَا عَلَيْهِ، وَيَصْرِفَ عَنَّا مَا يَضُرُّنَا، وَهُوَ تَبِيهٌ عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»، مِمَّا يُوجِبُ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ فِي الرِّزْقِ الْمُتَضَمِّنِ جَلْبَ الْمُنْفَعَةِ.

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ» أَي: تُذْنِبُونَ «بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا» فَهُوَ الْغَفُورُ الَّذِي يَمْحُو ذُنُوبَ التَّائِبِينَ «فَاسْتَغْفِرُونِي» أَي: اطْلُبُوا مِنِّي الْمَغْفِرَةَ أَغْفِرْ لَكُمْ «ذُنُوبَكُمْ يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي» وَهَذَا يَعْنِي: أَنَّ الْعِبَادَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُوَصِّلُوا إِلَى اللَّهِ نَفْعًا وَلَا ضُرًّا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي نَفْسِهِ غَنِيٌّ حَمِيدٌ لَا حَاجَةَ لَهُ بِطَاعَاتِ الْعِبَادِ وَلَا يَعُودُ نَفْعُهَا إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُمْ يَنْتَفِعُونَ بِهَا وَلَا يَتَضَرَّرُ بِمَعَاصِيهِمْ، وَإِنَّمَا هُمْ يَتَضَرَّرُونَ بِهَا.

«يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ» مِنَ الْمَوْجُودِينَ «وَأَخْرَكُمْ» مِمَّنْ سَيُوجَدُ، وَقِيلَ: مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ، وَالْمُرَادُ جَمِيعَكُمْ، «وَأَنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ مِنْكُمْ» أَي: لَوْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى عِبَادَتِي، «مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا» وَهُوَ بَيَانٌ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ، بَلْ هُمْ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَأَنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ» فَاجْتَمَعْتُمْ كَلِّكُمْ عَلَى عِصْيَانِي مَا ضَرَّرْتُمُونِي، «وَمَا نَقَصَ ذَلِكَ»؛ فَإِنَّهُ لَا تَزِيدُهُ طَاعَةُ الْمُطِيعِ، وَلَا تَنْقُصُهُ مَعَاصِي الْعَاصِي، فَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنِ عِبَادِهِ.

«يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا» أي: اجتمعوا جميعاً في أرض واحدة ومقام واحد، وقيد السؤال بالاجتماع في مقام واحد؛ لأن تراحم السؤال وازدحامهم مما يدهش المسؤول، ويبهته، ويعسر عليه إنجاز مطالبهم، ولكن ذلك يسير في قدرة الله وسعة خزائنه، فإنهم لو وقفوا ذلك الموقف، فطلبوا كلهم أجمعون مطالبهم، فأعطى سبحانه كل إنسان وكذا كل جنّي مسألته، في أن واحد ومكان واحد ما نقص ذلك الإطاء ممّا عندي إلا كالتقص أو كالثوب الذي ينقصه الخيط - وهو ما يخاط به الثوب كالإبرة ونحوها - إذا أدخل البحر؛ فإن البحر إذا غمس فيه إبرة، ثم أخرجت لم ينقص من البحر بذلك شيء، والمراد بهذا ذكر كمال قدرته سبحانه، وكمال ملكه، وأن ملكه وخزائنه لا تنفذ، ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخريين من الجن والإنس جميعاً ما سألوه في مقام واحد.

«يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها» أي: أحفظها وأكتبها عليكم، ثم أعطيكم جزاء أعمالكم يوم القيامة وافيًا تامًا؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر «فمن وجد خيرًا» أي: توفيق خير من ربه وعمل خير من نفسه «فليحمد الله» على توفيقه إياه للخير؛ لأنه الهادي، «ومن وجد غير ذلك» أي: شرًا - ولم يصرح به؛ تحقيقاً له وتنفيراً عنه - فلا يلومنّ إلا نفسه؛ لأنه صدر من نفسه أو لأنه باقٍ على ضلاله.

(اترك باباً بينك وبين الله-قصة-)

كان سهيل بن عمرو على سفر هو وزوجته، وفي أثناء الطريق.. اعترضهم قطاع الطرق، وأخذوا كل ما معهم من مال وطعام، وجلس اللصوص يأكلون ما حصلوا عليه من طعام وزاد.

فانتبه سهيل بن عمرو.. أن قائد اللصوص لا يشاركهم الأكل، فسأله:

- لماذا لا تأكل معهم!!؟

فرد عليه:

- إني صائم !!

فذهش سهيل، فقال له:

- تسرق وتصوم !!

أجاب:

- إني أترك باباً بيني وبين الله لعلني أن أدخل منه يوماً
ما..

وبعدها بعام أو عامين.. رآه سهيل في الحج وقد تعلق
بأستار الكعبة.. وقد أصبح زاهداً.. عابداً.. فنظر إليه
وعرفه.. فقال له:

- أما علمت.. من ترك بينه وبين الله باباً.. دخل منه
يوماً ما..

إياك أن تغلق جميع الأبواب بينك وبين الله عز وجل حتى
ولو كنت تقترف معاصي كثيرة؛ فعسى أن يكون هذا الباب
الواحد يفتح لك أبواباً كثيرة من الخير، ومن عظيم لطفه أنه
يراك مبتسماً فيكتبها لك أجراً ويراك موجوعاً فيغفر لك
ذنباً، وما بين الأجر والذنوب أنت محاط بعين اللطيف دوماً،
فاحسن الظن به وتوكل عليه.

وقفة 3



ثِقْ بِأَنَّ اللَّهَ سِيرَسَلٌ لَكَ سَلَامًا يَبِيدُ حَزْنَكَ، وَيَشْتَتِ
كَرْبَكَ، وَلَا تَلْتَفَتْ لِحَبَائِثِ الظَّنِّ، سُبْحَانَهُ خَلَقَ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ، أَيْعِزُّهُ أَمْرُكَ؟
فَعِنْدَمَا تَضِيقُ بِكَ الدُّنْيَا أَوْ يَصِيبُ الْيَأْسَ قَلْبَكَ أَوْ
تَتَأَخَّرُ دَعْوَاتُكَ، فَتَذَكَّرُ أَنَّ اللَّهَ يُعْطِيكَ عَلَى قَدْرِ
ظَنِّكَ بِهِ، فَلَا تَظُنْ بِاللَّهِ إِلَّا كُلَّ الْخَيْرِ.





باب الصبر والإحساب

كم تعرضنا ونتعرض للشدائد في الحياة، كم خذلنا، كم تألمنا، ولا حيلة لنا سوى الصبر والصمود المستمر على الأشياء المؤلمة نفسياً وتحملها بروح عالية ونفس طيبة، وفي هذا أجر كبير وخير كثير.. يقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽¹⁾.

24 - وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: ((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذَىٍّ، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))⁽²⁾.

لِلصَّبْرِ عَلَى الْمَرَضِ وَالْإِبْتِلَاءِ ثَوَابٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِبْتِلَاءَ كَفَّارَاتٍ لذُنُوبِ الْمُؤْمِنِ وَرِفْعَةً لدرجاته.

وفي هذا الحديث تسليّة للمؤمن فيما يصيبه من مصائب الدنيا، ومن الأمراض والأوجاع؛ فكل ما يصيب المؤمن خيراً له؛ يقول النبي ﷺ: «ما من مُصِيبَةٍ»، وتكثير كلمة (مُصِيبَةٍ)

(1) {الزمر:10}.

(2) أخرجه: البخاري 7/148 (5641)، ومسلم 8/16 (2573) (52).

يُفِيدُ الْعُمُومَ وَالشُّمُولَ؛ أَي: أَيُّ مُصِيبَةٍ، كَبِيرَةً كَانَتْ أَوْ صَغِيرَةً؛ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ، إِلَّا كَانَتْ تَكْفِيرًا لِدُنُوبِهِ، فَسَوَاءٌ كَانَتْ تَعَبًا، أَوْ هَمًّا، أَوْ غَمًّا، أَوْ حُزْنًا، فَمَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِلَّا وَيَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَتَهُ، وَيَحُطُّ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَيُطَهِّرُهَا بِهَا مِنْ دُنُوبِهِ وَمَعَاصِيهِ، حَتَّى لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ شَوْكَةً تُصِيبُ الْعَبْدَ فَتُؤَلِّهُ، فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهَا وَوَجِعِهَا احْتِسَابًا لِلَّهِ تَعَالَى دُونَ تَسْخِطِ وَشَكْوَى لِأَحَدٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُكْفِّرُ بِهَا مِنْ خَطَايَا الْعَبْدِ تَفْضُلًا وَتَكْرُمًا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى عِبْدِهِ الْمُسْلِمِ.

25 - وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)) ⁽¹⁾ رواه مسلم

وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ»؛ فَأَظْهَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْعَجَبَ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِحْسَانِ لِشَأْنِ الْمُؤْمِنِ وَأَحْوَالِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَحْوَالَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهَا فِيهَا خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، فَالْمُؤْمِنُ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ مِنْ نِعْمَةٍ دِينِيَّةٍ؛ كَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَنِعْمَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ؛ كَالْمَالِ وَالْبَنِينَ وَالْأَهْلَ، شَكَرَ اللَّهَ، فَهُوَ يَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ وَمَا قَدَّرَ لَهُ مِنْهَا، فَيَقُومُ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالقُرْبِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ

(1) أخرجه: مسلم 8/227 (2999).

وَجَلَّ امْتِنَانًا وَشُكْرًا لَهُ سُبْحَانَهُ، فَيَحْصُلُ لَهُ الْأَجْرُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُضَافُ لِهَذَا الشُّكْرِ فَرَحُهُ الَّذِي يَشْمَلُهُ بِتِلْكَ النِّعْمَةِ، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَتْهُ الضَّرَاءُ مِنْ فَقْرٍ، أَوْ مَرَضٍ، أَوْ بَلِيَّةٍ، أَوْ ضَرَّرَ؛ صَبَرَ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ، وَانْتَظَرَ الْفَرَجَ مِنَ اللَّهِ، وَاحْتَسَبَ الْأَجْرَ عَلَى اللَّهِ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي كَشْفِهَا، فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرًا لَهُ؛ لِأَنَّهُ يَثَابُ عَلَى صَبْرِهِ، وَيَحُوزُ أَجْرَ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ يُؤْفُونَ أَجْوَرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ؛ فَكَانَ أَمْرُهُ كُلَّهُ خَيْرًا، فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُ.

فَالِإِيمَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ يَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ فِي رِضَا كَامِلٍ عَلَى كُلِّ أَحْوَالِهِ.

26 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةَ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يُلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ))⁽¹⁾

جَعَلَ اللَّهُ ابْتِلَاءَ الْعِبَادِ بِالْمَصَائِبِ وَالْبَلَايَا كَفَّارَاتٍ لِلذُّنُوبِ وَمَحْوًا لِلسَّيِّئَاتِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا ابْتَلَاهُ لِيَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَهُ، حَتَّى إِذَا لَقِيَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾⁽²⁾.

(1) أخرجه: الترمذي (2399).

(2) {البقرة: 155}

وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة»، أي: لا ينفك العبد المؤمن من البلاء فيظل مَبْتَلِي، ويظل البلاء يتنزل عليه، «في نفسه»، أي: في صحته وجسده، «وولده»، أي: في أولاده من مرض أو وفاة أو عقوق أو غير ذلك، «وماله»، أي: من افتقار وذهاب تجارة وكساد عيش وضيق في الرزق، «حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»، أي: حتى يكفر الله عنه بذلك البلاء كل ذنوبه وخطاياها حتى إذا لقي الله يكون قد طهر من كل الذنوب والآثام التي ارتكبتها، ويكون لهم على ذلك الجزاء الحسن يوم القيامة، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «يودُّ أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرصت في الدنيا بمقاريض».

وفي الحديث: فضل البلاء وأثره في تكفير الذنوب، وبيان أنه من شأن الصالحين.

(شيخ أمه-قصة-)

وربما أود أن أخبركم بقصة رجل صالح أنا أعرفه، ولا أدري هل سأظل صامداً وأنا أكتب عنه أم تغلبنى الدموع، عندما التقيت بهذا الرجل، كان له أثر وقبول في النفس رهيب، يكفي مجرد وجوده في المكان حتى يشعر قلبك بأن هذا الرجل بينه وبين الله صدق وإخلاص كبير، نشأ على حفظ كتاب الله ولم يتجاوز العاشرة من عمره، وأجيز فيه ولله المنة والفضل.

رافقته وكان يعظني ولا أنكر فضله علي، كان شاباً مؤدباً.. خلقاً.. ليناً.. رقيقاً، قل أن تجد من هو في خلقه، وأنا أرى أن من نعم الله علي أنه رزقني صحبته في الدنيا، وبإذن الله تعالى في الآخرة، ومن مواقفه التي لا تُنسى أنه إذا تفارقنا بسبب حكم المسافات كانت من جملة الطيبة «أشتقنا لمصافحة الوجوه»، وهذا الرجل في أحد المرات عندما أريد تذكر آية للإستشهاد بها، قيل له «تذكرها معنا فأنت حافظ لكتاب الله» فلم يستطع وقتها، ولكن قلبه ما زال في الموقف وكأنه عاتب نفسه في صمت، عتاب أدى إلى نزول دموعه، فشرع مسرعاً لمسحها، وكان -رحمه الله- زاهداً في الدنيا، دائم القول «وإني والله لا أخاف الموت فإني لميت الآن أو فيما

بعد، وإني لا أريد إلا رضا الله، حتى لو قُطعت أوصالي، أفلا أحب لقاء المؤمنين، أفلا أحب مقابلة مصعب قارئ القرآن، الجلوس مع النبي هذا الجميل الأبيض الأنهق، أفلا أشتاق لرؤيته..!»

وتمر الأيام وبدون أي مقدمات نُفجع بخبر إصابته بورم في المخ - واسأل الله الشفاء لكل مرضانا- ورغم سرعة الحدث وأتْيانه بغتة إلا أن ما وجدته من كثرة حمده وصبره كان عجيبيًا، والورم كان غير جائز للإستئصال الجراحي، فبدأ في رحلة العلاج الكيميائي والإشعاعي، وتمر الأيام وصبره وعزيمته وحمده تقوى وتقوى لم تنقص أبدًا، وبدأ يكبر هذا الورم ويؤثر على مناطق الذاكرة لديه، وكان كل همه في هذا الوقت رغم مرضه وضعفه أن يُقرأ عليه القرآن حتى لا ينساه البتة ولا زال على ذلك حتى تدهورت حالته ودخل في غيبوبة، وبشهادة الأطباء المعالجين له، كانوا يقولون «أنه كلما أفاق كان يقرأ القرآن حتى يغيب عن الوعي مرة أخرى»، سبحان الله على هذا الرجل وعلى صبره وجلده وحمده..

ومات الرجل الصالح، وشُيعت جنازته بحضور مهيب، لا أبالغ إن قلت بأن هذا الحضور حدث لأول مرة في تاريخ بلدته، حزن كبير، حتى أمه كانت تردد وتعيه بجملة «وداعًا يا شيخخي»، فكان شيخ أمه يعلمها القرآن ويزكيها ويبرها

وكان له خبئات بينه وبين الله من الصدقات والتكفل بالأسر،
وكان صواماً قواماً غفر الله له وعفا عنه..

وبعد موته شوهدت له رؤيا يقول صاحبها سمعت فيها
صوتاً من السماء يملأ الأرض كلها «هو لم يموت، لقد سُفي
من مرضه كأنه لم يكن»، واستيقظ صاحبها على أذان الفجر،
وكان مرضه وبلاءه جاء مصداقاً لقول النبي ﷺ: ((مَا يَزَالُ
الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةُ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ
تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ))..

فقصة حياة هذا الرجل في كل مرحلة مر بها من مرضه
كفيلة بأن تجعل المرء أن يراجع نفسه، في ظل مرضه ويقراً
ويراجع ويردد القرآن، وترى من الناس من تجده في كامل
صحته وكتاب الله عليه التراب، بينما هو في ظل مرضه
وضغفه ويحمد الله ويسبح، وترى من الناس من لا يُقدر نعم
الله بل يجحد بها، عبوس الوجه طيلة النهار والليل، يحسب
أنه مُعمر..

ربما دموعي قد أذن لها بالخروج، وأنا ما كتبت إلا قليلاً
من سيرته!، وكنت أرجو أن يكون على قيد الحياة، ولكني
أعزي نفسي وقلبي وأهون عليهما بأنها الدنيا، وكل الحياة
مغادرة، وكل القلوب مسافرة، وكل المآسي عابرة، وما أنا إلا
عابر سبيل وما العيش إلا عيش الآخرة، فعليه فلتبكي العيون
وتحزن القلوب، ومات شيخ أمه ولكن سيرته لم تمت، وأثره

لم يمّت، وعمله لم يمّت، غفر الله له وعفا عنه، وورّقه الجنة،
والجنة الملتقى بإذن الله.

27 - عن أبي هريرة رضي عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: ((أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمًا وَمَتَعَلِّمًا))⁽¹⁾.

ويقول الشاعر لبّيد بن ربّيعَة:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهُ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

28 - وعن الزبير بن عدي، قال: أتينا أنس بن مالك رضي عنه فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج. فقال: ((اصبروا؛ فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم)) سَمِعْتَهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

وأنا أقول لكل أخواني وأخواتي الذين يعانون من ضيق العيش وقلة الرواتب ويقعون في الديون أحياناً والهموم، أعرف أن اليوم البيوت تعاني، أعرف أنه قد تكون هنالك أخت لنا طلقت أو تأخرت في زواجها، إنسانة أو إنسان مظلوم من أبيه، من أخيه من قريبه من جاره، فاستعينوا بالصبر

(1) أخرجه: ابن ماجه (4112)، والترمذي (2322).

(2) أخرجه: البخاري 9/61 (7068).

والصلاة، الصبر، الصبر... أنت أكرم أم النبي ﷺ، الذي ضُرب ووُضع على ظهره سلا الجزور⁽¹⁾، وسُكب على وجهه التراب، وجُذب في سلك مكة من ثوبه، هذا يجذبه يميناً وهذا يجذبه يسرى، وهذا يرفعه وهذا يقعه، طردوه أهل الطائف، كُسرت ربايعيته، أدمي وجهه الكريم، من أكرم على الله أنت أم النبي ﷺ، لا يمكن أن تشبع ويجوع النبي، لا يمكن أن تضحك والنبي ﷺ بكى وحزن، وقال له تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾⁽²⁾، ضاق صدره ودمعت عينه، وجاع عليه الصلاة والسلام..

يقول عمر بن الخطاب خرجت من بيتي، كنت لا أظن أحداً جائعاً إلا أنا، رابطاً الحجر على بطني من شدة الجوع، قلت لا يوجد في المدينة أشد مني جوعاً، فلما خرجت فإذا بأبي بكر.. يدور في سلك المدينة، وقد ربط على بطنه حجر أكبر من الحجر الذي على بطني، قلت أنا وأبا بكر فقط جوعانين، يقول فمشينا قليلاً فإذا بإمام الأمة ورسولنا عليه الصلاة والسلام.. يخرج في سلك المدينة، وربط على بطنه حجراً أكبر من حجر أبو بكر وعمر من شدة الجوع، لا يمكن أن يشبع الناس والرسول جاع، ولا يمكن أن تفرح والرسول ﷺ حزن وبكى، هذه هي الدنيا.. اصبروا على المصائب، تحملوا أقدار الله، قولوا اللهم لك الحمد، لك الحمد في

(1) اللغافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدمية المشيمة

(2) [الحجر: 97]

السراء، لك الحمد في الضراء، المؤمن إن أصابه خير شكر،
وإن أصابه بلاء صبر، ولا يكون ذلك لأحد إلا للمؤمن،
اصبروا.. صابروا.. رابطوا، الدنيا كلها مصائب، الدنيا على
هذا خلقت، الدنيا ليست دار استقرار ولا هناء، الدنيا دار
ممر... الدنيا ملعونة..

فأنا أقول لأهل المصائب أنا أعرف أنه في أناس يجدون
كسرة الخبز بصعوبة، ونعرف أن بعض الناس الغلاء أذاه،
ونعرف أن بعض الناس أطفاله وأولاده ربما آذوه، وهذا كله
ندركه، ونسأل الله أن ينزل علينا السعة والرزق والرحمة
والهناء، فالصبر والإحتساب والله المستعان..

وقفة 4



وتضيقُ دنيانا فنحسبُ أننا سنموتُ يأساً أو نموتُ نحيباً
وإذا بلطفِ الله يهطلُ فجأةً يُرِي من اليبسِ الضُتاتِ قلوباً

(شعر الإمام الشافعي)

لا تقف ولا تستسلم عند أي شيء صعب واجهك، لا
تشغل نفسك كثيراً، ولا تخف، فحينما تسمع دعاء
النبي ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة».

فكيف تأسى على ما فات من دنياك أو نزل من
بلاياك..؟!





باب المسارعة لعمل الخير والإيثار على النفس

قَالَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾⁽¹⁾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾

29 - عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ⁽³⁾ قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: ((أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا))⁽⁴⁾.

فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَرَمَ قَدَمَاهُ، أَي: تَتَوَرَّمَ وَتَتَنَفَّخَ، وَمَا سُئِلَ عَنْ سَبَبِ هَذَا الاجْتِهَادِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبَهُ، قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ فَمَنْ عَظُمَتْ عَلَيْهِ نِعْمَ اللَّهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَلَقَّهَا بِعَظِيمِ الشُّكْرِ، لَا سِيَّمَا أَنْبِيَائِهِ وَصَفْوَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ، وَخَشِيَةَ الْعِبَادِ لِلَّهِ عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِمْ بِهِ؛ فَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»، أَي: كَيْفَ لَا أَشْكُرُهُ وَقَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَخَصَّنِي بِخَيْرِي الدَّارَيْنِ؟!

(1) [البقرة: 148].

(2) [آل عمران: 133].

(3) أي تشققت.

(4) أخرجه: البخاري 6/169 (4837)، ومسلم 8/141 (2820) (81)..

30 - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: ((أن تصدق وأنت صحيحٌ شحيحٌ، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل⁽¹⁾ حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان))⁽²⁾.

يروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله: أي الصدقة أعظم أجراً وأكثر نفعاً لصاحبها؟ فأخبره صلى الله عليه وسلم أنه ما يتصدق بها الإنسان وهو صحيح ليس فيه مرض أو علة تقطع أمله في الحياة، وهو وقت يُصادف من يكون من شأنه الشح، وهو البخل مع الحرص، ويخاف من الوقوع في الفقر، ويأمل الغنى ويرجوه ويطمع فيه لنفسه، وهذا في فترة الحياة كلها، وخاصة وقت الرغد والنعيم، فيكون الإنسان أكثر حرصاً، فإذا تصدق مع كل هذه الموانع والمغريات التي تحته على حفظ المال فذلك أعظم أجراً، ثم حذر النبي صلى الله عليه وسلم من آفة تُصيب كثيراً من الناس، وذلك بأن ينتظر ويتمهل ويؤخر التصدق، حتى إذا بلغت رُوحه الحلقوم، وشعر بقرب الموت، وتأكد أن المال لن ينفعه، وأنه سيتركه، أوصى لفلان بكذا، ولفلان بكذا، وأخبر أنه قد كان لفلان من الديون أو الحقوق، وقد أصبح المال ملكاً للورثة، فهذا أقل أجراً.

(1) أي لا تترك الصدقة .

(2) أخرجه: البخاري 2 / 137 (1419)، ومسلم 3 / 93 (1032).

فَبَيْنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ أَنْ تَتَصَدَّقَ حَالَ
حَيَاتِكَ وَصِحَّتِكَ، مَعَ احْتِيَاجِكَ إِلَى الْمَالِ وَاحْتِصَاصِكَ بِهِ،
لَا فِي حَالِ سَقَمِكَ وَسِيَاقِ مَوْتِكَ؛ لِأَنَّ الْمَالَ حِينَئِذٍ خَرَجَ عَنْكَ
وَتَعَلَّقَ بِغَيْرِكَ.

31- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((سَبَقَ
دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ قَالُوا وَكَيْفَ؟ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ
تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ
مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا))⁽¹⁾

أَيُّ أَنْ نَفَقَةً دِرْهَمٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالتَّصَدُّقِ بِهِ عَنْ طَيِّبِ
خَاطِرٍ وَإِخْلَاصِ نِيَّةٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ أَفْضَلُ مِنْ
نَفَقَةِ مِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، «قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ
تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا»، أَيُّ: إِنَّهُ رَجُلٌ فَقِيرٌ لَا يَمْلِكُ إِلَّا دِرْهَمَيْنِ
فَأَنْفَقَ وَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَهُوَ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ فَيَكُونُ قَدْ أَنْفَقَ
نِصْفَ مَالِهِ، مَعَ احْتِيَاجِهِ إِلَى مَا أَنْفَقَهُ، «وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى
عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا»، أَيُّ: إِنَّهُ
رَجُلٌ غَنِيٌّ، فَأَنْفَقَ مِنْ بَعْضِ مَالِهِ مِئَةَ أَلْفٍ فَقَطْ، وَبَقِيَ أَكْثَرُ
مَالِهِ كَمَا هُوَ.

(1) أخرجه النسائي (2527)، وأحمد (8929) باختلاف يسير، وأورده ابن حزم في
المحلى (9/139) واللفظ له

32 - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان))⁽¹⁾.

يُبينُ النبي صلى الله عليه وسلم أن «المؤمن القوي» يعني في إيمانه، وليس المرادُ بها قوَّةُ البدنِ، «خيرٌ وأحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ من المؤمن الضَّعيفِ» وهو الذي في إيمانه ضَعْفٌ، «وفي كل خيرٍ» أي: في كل واحد من القويِّ والضعيفِ خيرٌ؛ لاشتراكهما في الإيمانِ ويوصي النبي صلى الله عليه وسلم المسلمَ بقوله: «أحرص على ما ينفعك» يعني: بالأخذِ بالأسبابِ، ومع الأخذِ بالأسبابِ اعتمدَ على مُسبَّبِ الأسبابِ، وهو الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال بعدَ ذلك: «واستعن بالله»؛ لأنَّ الإنسانَ إذا أخذَ بالأسبابِ ولم يحصلَ له عَوْنٌ وتوفيقٌ من الله تعالى، فلنَ يحصلَ ما يريدُه، فمجردُ الأخذِ بالأسبابِ لا يكفي، بل يُحتاجُ إلى شيءٍ وراءه، وهو توفيقُ الله وإعانتُه على حصولِ ذلك الشيءِ؛ فإنه لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله، والمرادُ بالأعمالِ النَّافعةِ: ما يعودُ على الإنسانِ بخَيْرِي الدُّنيا والآخرةِ مِنَ العِبَادَاتِ والأعمالِ الصَّالحةِ ونحو ذلك.

ثمَّ ينهى النبي صلى الله عليه وسلم عن العَجْزِ، والمرادُ به هنا: الكسَلُ، وهو ضدُّ النَّشاطِ، وهو التَّنَاقُلُ عَمَّا لا يَنْبَغِي التَّنَاقُلُ عنه، ويكونُ

(1) أخرجه: مسلم 8/56 (2664) (34).

ذلك لَعَدَمِ انْبِعَاثِ النَّفْسِ لِلْخَيْرِ مع وجودِ القُدْرَةِ عليه؛ ولذلك كان النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْهُ.

فَمَنْ عَمَلَ بِتِلْكَ الوَصِيَّةِ وَقَامَ بِهَا عَلَى وَجْهِهَا الْأَكْمَلِ، ثُمَّ أَصَابَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مُصِيبَةٌ، فَلَا يَقُولُ: «لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا»؛ فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ غَيْرُ سَدِيدٍ، وَلَكِنْ يَقُولُ مُسْتَسْلِمًا وَرَاضِيًا، وَمُؤَمِّلًا الْخَيْرَ: «قَدَّرَ اللَّهُ»، أَي: وَقَعَ ذَلِكَ بِمُقْتَضَى قَضَائِهِ وَعَلَى وَفْقِ قَدَرِهِ، «وَمَا شَاءَ فَعَلَ»؛ فَإِنَّهُ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَلَا رَادٌّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقَّبٌ لِحُكْمِهِ.

وَبَعْدَ أَنْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَوْلِ كَلِمَةِ الشَّرْطِ «لَوْ» فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ، نَبَّهَ عَلَى أَنَّهَا «تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» مِنْ مُنَازَعَةِ الْقَدَرِ، وَالتَّأْسُفِ عَلَى مَا فَاتَ؛ لِأَنَّ فِيهَا الِاعْتِرَاضَ عَلَى الْقَدَرِ، وَالتَّحَسُّرَ مِنْ وَقُوعِهِ، كَأَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ حِينَ تَنْزِلُ بِهِ مُصِيبَةٌ: لَوْ فَعَلَ كَذَا مَا أَصَابَهُ الْمَرَضُ! فَالْمُسْلِمُ مُطَالِبٌ بِالتَّسْلِيمِ لِلْقَدَرِ، فَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَعَ لَا مَحَالَةَ؛ إِذْ قَضَاءُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ لَا يَتَخَلَّفُ، فَمَا دَامَ الْإِنْسَانُ قَدْ اجْتَهَدَ فِي الْعَمَلِ، وَأَخَذَ بِالْأَسْبَابِ، مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ، وَطَلَبَ الْخَيْرَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ؛ فَلَا عَلَيْهِ بَعْدَهَا إِلَّا أَنْ يُفَوِّضَ أَمْرَهُ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اخْتِيَارَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْخَيْرُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا مَا وَقَعَ لَهُ مَكْرُوهًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ دَفْعَ قَدَرِ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَغْيِيرَهُ دُونَ إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ، وَإِنْ اجْتَمَعَتْ لَذَلِكَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا.

(والله يضاعف لمن يشاء- قصة-)

نوى التصدق بما معه من مال، لكن أمه قالت له:

- يا بني أنك بحاجة إليه فلا تضيعه..

فتبسم ضاحكاً من قولها، وقال:

- ألم تسمعي قصة المرأة والثلاثة تمرات، عندما سمعت أم المؤمنين السيدة عائشة رضی اللہ عنہا لطرقات على بابها، فلما نظرت، وجدت امرأة مسكينة، ومعها ابنتها الصغيرتان، وطلبت المرأة منها طعاماً، ولم يكن في بيت السيدة عائشة في هذا اليوم إلا ثلاث تمرات، فأحضرتها، وأعطتها للمرأة، أخذت المرأة التمرات، وأعطت لكل بنت تمر، وأخذت هي التمرة الثالثة فأكلت البنتان التمرتين، ثم نظرنا إلى التمرة التي في يد أمهما، فلم تتردد الأم، وشقت التمرة نصفين، وأعطت لكل بنت منهما نصفاً، وفضلت الأم أن تطعم ابنتيها وتبقى جائعة، فأعجبت أم المؤمنين عائشة بما فعلته هذه المرأة، ولما جاء رسول الله ﷺ حكى له السيدة عائشة هذا الموقف فقال لها الرسول ﷺ: «إن الله قد أوجب لها الجنة»

قالت الأم:

- وما عند الله خير وأبقى..

وتصدق الشاب بالمبلغ، ولم تغرب شمس اليوم إلا وقد
طُرق على بابهم ووصلهم عشرة أمثال ما تصدق به.



وقفة 5



تذكّر دائماً أن الحياة تنقسم إلى لحظتين: لحظة عسر وكدر يكفر الله فيها الذنوب والخطايا، لتكون سبباً في دخولك الجنة والفوز العظيم، ولحظة يسر وانسراح يُفيض الله فيها على قلبك بالراحة والفرج، ويعوضك الكريم بكل خير. وفي كلتا الحالتين، أنت في عين الله ورعايته. فاطمئن، فإن الله هو خير الحافظين وأرحم الراحمين.

فوالله لو كنت تحمل في صدرك مثقال ذرة من حزن ثم رجوت الله .. لعلمت أن تلك الذرة الحزينة أكرم عند الله من الدنيا بما فيها، رحمة الله أوسع من كل متاع الحياة.





باب مكارم الأخلاق

33 - عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))⁽¹⁾.

إن الذي يُحَسِّنُ خُلُقَهُ مع الناسِ مع اختلاف طبائعهم فهو بذلك يُجَاهِدُ نفوسًا كثيرةً، وذلك بِكَفِّ الْأَذَى عنهم، وبَدَلِ العطاء لهم، وطلاقة الوجه مع الصَّبر على آذاهم، والصائمُ القائمُ يُجَاهِدُ نفسه؛ لذلك يُدْرِكُ الْمُؤْمِنُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ - أي: منزلةً وثوابَ - الصائم، أي: المتطوع بالصَّوم بالنهار، القائم، أي: المتهجِّد بالليل؛ فَالصَّائِمُ الْقَائِمُ عنده مِنَ التَّعَبِ والمشقة لقيامه الليلَ بِصلاةِ التطوع، بعدَ صيامه للنهار؛ فكونُ صاحبِ حُسْنِ الخلقِ يكونُ في دَرَجَةِ هؤلاءِ إِنَّمَا هو لمجاهدته الناسَ بِحُسْنِ المعاملةِ فيهم وإنَّ قَسَوًا عليه؛ فيكون الصبرُ مفتاحه فيهم، وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: ((إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا))⁽²⁾.

(1) أخرجه: أبو داود (4798).

(2) أخرجه: البخاري 4/230 (3559)، ومسلم 7/78 (2321) (68).

34 - عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، فَقَالَ: ((الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ))⁽¹⁾.

بَيْنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ أَعْظَمَ خِصَالِ الْبِرِّ أَوْ الْبِرِّ كُلِّهِ مُجَمَّلًا هُوَ حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ، وَيَكُونُ حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ بِكَفِّ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَبَذْلِ الْخَيْرِ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ لَهُمْ، وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ مَعَ الصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ.

ثُمَّ بَيْنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الْإِثْمَ هُوَ مَا تَرَدَّدَ وَتَحَرَّكَ وَأَثَرَ فِي النَّفْسِ بَأَنَّ لَمْ تَتَشَرَّحْ لَهُ، وَحَلَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ الشُّكُّ وَالْخَوْفُ مِنْ كَوْنِهِ ذَنْبًا وَأَقْلَقَهُ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ، وَكَرِهَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ؛ لِأَنَّهُ مَحَلٌّ ذَمٍّ وَعَيْبٍ، فَتَجَدُّكَ مُتَرَدِّدًا فِيهِ، وَتَكَرَّهُ أَنْ يَطَّلَعَ النَّاسُ عَلَيْكَ.

وهذه الجملة إنما هي لمن كان قلبه صافيًا سليمًا؛ فهذا هو الذي يحوك في نفسه ما كان إثمًا ويكره أن يطلع عليه الناس، أما من فسد قلبه وانتكست فطرته، فقد ينشرح صدره للآثام، ويجاهر بها.

(1) (أخرجه: مسلم 8/7 (2553) (15)).

35 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: ((تقوى الله وحسن الخلق))، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: ((الضم والفرج))⁽¹⁾

وفي هذا الحديث يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟»، أي: أكثر شيء من الأقوال أو الأفعال أو الأحوال التي تقرب العبد إلى ربه عز وجل، وتجعله يفوز بدخول الجنة، «فقال»، أي: النبي صلى الله عليه وسلم: «تقوى الله»، أي: أكثر شيء يقرب العبد من ربه عز وجل، ويجعله يفوز برضا الله عز وجل، ويدخله الجنة أن يتقي الله عز وجل في أقواله وأفعاله وأحواله، والتقوى هي الخوف من الله مع مراقبته جل جلاله، «وحسن الخلق»، أي: وأكثر شيء أيضاً يقرب العبد من ربه عز وجل ويجعله يفوز برضا الله عز وجل، ويدخله الجنة بعد التقوى - أن يكون حسن الخلق، وأن يعامل الناس بخلق حسن؛ بحيث لا يؤذي أحداً بقول أو فعل، فيكون المعنى أن أكثر أسباب السعادة الأبدية الجمع بين تقوى الله وحسن الخلق.

وسئل، أي: النبي صلى الله عليه وسلم، «عن أكثر ما يدخل الناس النار»، أي: أكثر شيء يكون سبباً في دخول النار سواءً من الأقوال أو الأفعال أو الأحوال؟ «قال»، أي: النبي صلى الله عليه وسلم: «الضم»؛ وذلك لأنه

(1) أخرجه: ابن ماجه (4246)، والترمذي (2004)

رُبَّمَا كَانَ سَبِيلًا لِأَكْلِ الْحَرَامِ، وَالنُّطْقِ بِالْحَرَامِ، فَيَكُونُ فِيهِ هَلَاكُ الْإِنْسَانِ، مَعَ أَنَّ الْفَمَّ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ سَبِيلًا إِلَى الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى اللِّسَانِ، وَبِهِ يَتِمُّ حِفْظُ أَمْرِ الدِّينِ كُلِّهِ، وَإِذَا أَكَلَ الْحَلَالَ فَهَذَا رَأْسُ التَّقْوَى، «وَالْفَرْجُ»؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ سَبِيلًا لِارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ، وَالْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمَاتِ، فَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ سَبَبًا فِي هَلَاكِ الْعَبْدِ، وَدُخُولِهِ النَّارَ، مَعَ أَنَّ صَوْنَهُ مِنْ أَعْظَمِ مَرَاتِبِ الدِّينِ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنِ الْمَفْلِحِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾⁽¹⁾، فَيَصِيرُ مَعْنَى هَذَا أَنَّ أَكْثَرَ أَسْبَابِ الشَّقَاوَةِ السَّرْمَدِيَّةِ الْجَمْعُ بَيْنَ عَدَمِ حِفْظِ الْفَمِّ وَمَا فِيهِ، وَعَدَمِ حِفْظِ الْفَرْجِ عَنِ الْفَوَاحِشِ.

وَفِي «تَقْوَى اللَّهِ» إِشَارَةٌ إِلَى حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ مَعَ الْخَالِقِ بِأَنَّ يَأْتِي جَمِيعَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَيُنْتَهِي عَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَفِي «حُسْنِ الْخَلْقِ» إِشَارَةٌ إِلَى حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ مَعَ الْخَلْقِ، وَهَاتَانِ الْخَصْلَتَانِ مُوجِبَتَانِ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَنَقِيضُهُمَا النَّارُ، فَأَوْقَعَ الْفَمَّ وَالْفَرْجَ مُقَابِلًا لِهَمَا.

(1) {المؤمنون: 5}.

36 - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبِذِيَّ))⁽¹⁾.

وفي هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما شيء» أي: لا يوجد شيء من الأعمال والأقوال، «أثقل في ميزان المؤمن»، أي: أعظم في الثواب والأجر يكون في صحيفة العبد، ويثقل له ميزانه، «يوم القيامة من خلق حسن» فحسن الخلق دليل على حسن الدين؛ لأنه تطبيق عملي لأوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ «فإن الله تعالى يبغض الفاحش»، أي: ذا الفحش في فعله وقوله، «البيضي» الذي يتكلم بما يكره سماعه، أو من يرسل لسانه بما لا ينبغي، واحتقار الغير.

37 - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ))⁽²⁾.

وفي هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانًا»، أي: أكثرهم اتصافًا بصفات الإيمان ومن أكثرهم تزودًا من الطاعات، «أحسنهم خلقًا»، أي: الذي يمتثل بالخلق الحسن

(1) أخرجه: أبو داود (4799)، والترمذي (2002).

(2) أخرجه: أبو داود (4682)، والترمذي (1162)، ورواية أبي داود اقتصر على الجزء

الأول من الحديث ..

بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا، فَيُحَسِّنُ خُلُقَهُ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، وَالصَّبْرِ وَالْحَمْدِ فِي الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ النِّعْمَةِ، وَيَكُونُ حَسَنَ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ بِكَفِّ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَبَدَلِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ، مَعَ الصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ؛ فَكَمَالُ الْإِيمَانِ يُوجِبُ حُسْنَ الْخُلُقِ، وَالإِحْسَانَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً.

«وخيَارُكُمْ»، أي: أَفْضَلُكُمْ وَأَحْسَنُكُمْ، «خيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»، وفي رواية الترمذي «الطُّفْهُمُ بِأَهْلِهِ»، أي: فِي حُسْنِ خُلُقِهِ مَعَهُنَّ فِي الْمَعَامَلَةِ وَالْمَعَاشِرَةِ، وَالْمِرَادُ مِنَ النِّسَاءِ: أَهْلُهُ مِنَ النِّسَاءِ كَزَوْجَتِهِ وَبَنَاتِهِ وَأَخْوَاتِهِ وَقَرِيبَاتِهِ؛ لِأَنَّهِنَّ مَحَلُّ الرَّحْمَةِ لَضَعْفِهِنَّ.

38 - وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ⁽¹⁾ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحَقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ))⁽²⁾.

حُسْنُ الْخُلُقِ يَرْقَى بِصَاحِبِهِ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ»، أَي: ضَامِنٌ وَكَفِيلٌ، «بِبَيْتٍ»، أَي: قَصْرٍ، «فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ»، أَي:

(1) رِبْضُ الْجَنَّةِ: مَا حَوْلَهَا خَارِجًا عَنْهَا. النِّهَايَةُ 185 / 2.

(2) أَخْرَجَهُ: أَبُو دَاوُدَ (4800) ..

نواحيها وأطرافها، «لَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ»، أي: الجِدَالَ، «وإن كَانَ مُحَقًّا»، أي: فِيمَا يَقُولُ؛ وَهَذَا لِمَا فِيهِ مِنَ الْحِفَافِ عَلَى النُّفُوسِ وَمَا يَتَسَبَّبُ فِيهِ الْمِرَاءُ مِنْ خِلَافٍ وَشَقٍّ لِلصَّفُوفِ.

«وَبَيَّتْ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ»، وَالْكَذِبُ هُوَ الْإِخْبَارُ بِخِلَافِ الْوَاقِعِ، «وإن كَانَ مَازِحًا»، أي: هَازِلًا لَا يَقْصِدُ الْجَدَّ. «وَبَيَّتْ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ»، وَهِيَ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، «لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»، أي: لِلَّذِي يُحَسِّنُ خُلُقَهُ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، وَالصَّبْرِ وَالْحَمْدِ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ لَهُ عِنْدَ النُّعْمَةِ وَالْعَطَاءِ، وَيَكُونُ حَسَنَ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ بِكَفِّ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَبَذْلِ الْعَطَاءِ لَهُمْ، وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ مَعَ الصَّبْرِ عَلَى آذَانِهِمْ.

39 - وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیہ وسلم، قَالَ: ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهُقُونَ)) قَالَوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا ((الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ))، فَمَا الْمُتَفِيهُقُونَ؟، قَالَ: ((الْمُتَكَبِّرُونَ)).

((الثَّرَثَارُ)): هُوَ كَثِيرُ الْكَلَامِ تَكَلَّفًا، وَ((الْمُتَشَدِّقُ)): الْمُتَطَاوِلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلَامِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَلَاءٍ فِيهِ تَفَاصِحٌ وَتَعْظِيمٌ لِكَلَامِهِ، وَ((الْمُتَفِيهُقُ)): أَصْلُهُ مِنَ الْفَهْقِ وَهُوَ الْإِمْتِلَاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمَلَأُ

فَمَهُ بِالْكَلامِ وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، وَيُغْرِبُ بِهِ تَكَبُّراً وَارْتِفاعاً، وَإِظْهَاراً
لِلْفَضِيلَةِ عَلَى غَيْرِهِ.⁽¹⁾

كان النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً، وقد أَمَرَ بِحُسْنِ الخُلُقِ،
وَبَيَّنَ أَنَّ صاحِبَ الخُلُقِ الحَسَنِ لَهُ فَضْلٌ كَبِيرٌ، وَأَجْرٌ عَظِيمٌ،
وَفِي هَذَا الحَدِيثِ يَقُولُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحابِهِ وَلِأُمَّتِهِ: «إِنَّ
مَنْ أَحَبَّكُمْ»، أَي: مَنْ أَكْثَرَ النَّاسِ حُبًّا أَوْ أَحَبَّ المَحْبُوبِينَ، «إِلَيَّ»
فِي الدُّنْيا، «وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا»، أَي: مَنْزِلَةً، يَوْمَ القِيامَةِ
أَحاسِنُكُمْ» جَمْعُ أَحْسَنَ، أَي: أَفْضَلُكُمْ وَأَجْمَلُكُمْ «أَخلاقًا»، أَي:
أَصْحابَ الخُلُقِ الحَسَنِ الجامِعِينَ لِلأَخلاقِ الجَمِيلَةِ الحَسَنَةِ
بأنواعِها، «وإنَّ مَنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ»، أَي: أَكْثَرَ مَنْ أَكْرَهُهُمْ
مِنَ النَّاسِ فِي الدُّنْيا، «وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي» مَجْلِسًا وَمَنْزِلَةً، «يَوْمَ
القِيامَةِ الثَّرثارُونَ»، الَّذِينَ يُكْثِرُونَ الكَلامَ وَيَتَكَلَّفُونَ فِيهِ بغيرِ
حَقِّ بالسَّجْعِ والحَشْوِ وغيرِهِ، وَيُرَدِّدُونَهُ كَثيرًا، «والمُتَشَدِّقُونَ»
الَّذِينَ يَتَوَسَّعُونَ فِي الكَلامِ، وَيَلوونَ ألسِنَتَهُمْ بِهِ، وَيَفْتَحِرُونَ
بِهِ بغيرِ حَقِّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: الَّذِينَ يَسْتَهزِئُونَ بِالنَّاسِ بليِّ
أشْداقِهِمْ، وَالشَّدَقُ هُوَ جَانِبُ النَّمِّ، «والمُتَفِيهِقُونَ»، مِنَ الفَهْقِ
وهو الامْتِلاءُ وَالاتِّساعُ، أَي: الَّذِينَ يَتَوَسَّعُونَ فِي الكَلامِ
وَيَفْتَحُونَ بِهِ أَفْواهِهِمْ وَهَذَا لِكَبَرِهِمْ ورُعُونَتِهِمْ، «قالوا»، أَي:
الحاضِرُونَ مِنْ أَصْحابِ النَّبِيِّ ﷺ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «يا رَسولَ اللَّهِ،
قَدْ عَلِمْنَا» وَفَهَمْنَا مَعْنَى الثَّرثارِينَ وَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُكْثِرُونَ

(1) أخرجه: الترمذي (2018).

الكلام ويتكلفون فيه، ومعنى المتشدقين وأنهم هم الذين يتكلمون بملء أشفاقهم تفاصحا واستعظاما لكلامه، «فما» معنى «المتفیهقون؟ قال» رسول الله ﷺ: «المتكبرون» الذين يتكبرون على الناس بكلامهم وبالاستعلاء عليهم بفصاحتهم في أقوالهم وبيان عظمتهم في أفعالهم.

40 - عن أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال ((بعثت لأتمم صالح الأخلاق))⁽¹⁾

قال أنس: ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟ متفق عليه.⁽²⁾

41 - وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ألا أخبركم بمن يحرم على النار؟ أو بمن تحرم عليه النار؟، تحرم على كل قريب، هين، لين، سهل))⁽³⁾

(1) أخرجه أحمد (8939)، والبخاري في (الأدب المفرد) (273) واللفظ لها، والبخاري (8949) باختلاف يسير.
(2) أخرجه: البخاري 4/230 (3561)، ومسلم 7/81 (2329) (82).
(3) أخرجه: الترمذي (2488).

وفي هذا الحديث يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ»، أي: يُمْنَعُ وَيَحْجَزُ عَنْ دُخُولِهَا، فَيُعَافَى مِنْهَا، «وَبِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟» أي: تُصْبِحُ النَّارُ مُحْرَمَةً عَلَيْهِ، فَلَا يَدْخُلُهَا، وَهِيَ مِنْ بَابِ التَّأْكِيدِ، فَهِيَ كَالجُمْلَةِ السَّابِقَةِ، ثُمَّ أَوْضَحَ النَّبِيُّ ﷺ صِفَةَ الْمُعَافَى مِنَ النَّارِ فَقَالَ: «عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ»، أي: قَرِيبٍ إِلَى النَّاسِ «هَيْنٍ»، أي: يَتَّصِفُ بِالسُّكُونِ وَالْوَقَارِ، وَاللِّينِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ مَعَ النَّاسِ «سَهْلٍ»، أي: سَهْلٍ الْمُعَامَلَةِ وَالخُلُقِ، مُيَسِّرٍ عَلَى النَّاسِ.

42 - وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تَنْفُرُوا))⁽¹⁾.

أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَمْرَيْنِ وَنَهَى عَنْ ضِدِّهِمَا؛ فَأَمَرَ بِالتَّيسِيرِ، وَنَهَى عَنِ الضِّدِّ وَهُوَ التَّعْسِيرُ، فَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي أَيِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا كَالْمُعَامَلَاتِ، أَوْ فِي أُمُورِ الدِّينِ كَالْعِبَادَاتِ، أَوْ فِي أَيِّ شَيْءٍ مَا دَامَ فِي نِطَاقِ الْحَقِّ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ؛ يَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَيَكْفِي فِي هَذَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَيِّدَ الْخَلْقِ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؛ مَا خَيْرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ حَرَامًا. وَالْأَمْرُ الثَّانِي: التَّبَشِيرُ وَالْإِخْبَارُ بِالْخَيْرِ، وَهُوَ عَكْسُ النَّذَارَةِ، وَهِيَ الْإِخْبَارُ بِالشَّرِّ وَالْمُبَالَغَةُ فِي التَّرْهيبِ وَالتَّخْوِيفِ الْمُؤَدِّي إِلَى النُّفُورِ؛ فَمَعْنَى: «بَشِّرُوا،

(1) أخرجه: البخاري 1/27 (69)، ومسلم 5/141 (1734) (8).

وَلَا تُتَفَرَّوْا» بِشَرِّوَا النَّاسَ - أَوْ الْمُؤْمِنِينَ - بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَتَوَابِهِ، وَجَزِيلِ عَطَائِهِ

43 - وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ:
((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ، مَا لَا يُعْطِي
عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))⁽¹⁾.

وفي هذا الحديث تُخْبِرُ عَائِشَةُ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ» فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَطِيفٌ
بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ بِهِمْ، يُحِبُّ أَنْ يَتَّصِفَ عَبْدُهُ بِلِينِ الْجَانِبِ وَالْأَخْذِ
بِالسَّهْلِ؛ فَلَا يَكُونُ قَظًا وَلَا غَلِيظًا، ثُمَّ أَخْبَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ
اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي مِنَ الْجَزَاءِ وَالْأَجْرِ عَلَى الرَّفْقِ وَاللِّينِ أَكْثَرَ
مِمَّا يُعْطِيهِ عَلَى الْعُنْفِ وَالشَّدَّةِ وَالْغَلِظَةِ، وَأَنَّ الْجَزَاءَ وَالْأَجْرَ
فِيهِ أَعْظَمُ مِنْ أَيِّ صِفَةٍ أُخْرَى مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ؛ وَذَلِكَ
لِأَنَّ الرَّفْقَ يَأْتِي مَعَهُ مَا لَا يَأْتِي مَعَ غَيْرِهِ.

44 - وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ:
((إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
شَانَهُ))⁽²⁾.

(1) أخرجه: مسلم 8/22 (2593) (77) ..

(2) أخرجه: مسلم 8/22 (2594) (78) ..

الرَّفْقُ فِي الْأُمُورِ، وَالرَّفْقُ بِالنَّاسِ، وَاللِّينُ، وَالتَّيْسِيرُ، مِنْ جَوَاهِرِ عُقُودِ الْأَخْلَاقِ، وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَفِيقٌ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الرَّفْقَ.

وقد جاء في هذا الحديث سبب وقصة، وهو ما روتَه عائشة رضي الله عنها أنها كانت راكبة على جمل فيه صعوبة» يعني أنه غير مُدَلَّل ومُطِيع لصاحبه الرَّاكِبِ عليه، «فَجَعَلَتْ تَرَدُّدَهُ» أي: تَمَنَعَهُ وَتَدَفَعَهُ بِشِدَّةٍ وَعُنفٍ وَتُحَاوَلُ مَعَهُ لِلرُّكُوبِ، فَبَيَّنَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ -أَي: لَا يُقْصَدُ اسْتِعْمَالُهُ فِي أَيِّ أَمْرٍ- إِلَّا «زَانَهُ»، أَي: إِلَّا أَكْمَلَهُ وَزَيَّنَهُ، وَأَصْبَحَ مَمْدُوحًا مَحْمُودًا، «وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ»، أَي: وَلَا يَبْتَعَدُ عَنْ أَمْرٍ، إِلَّا «شَانَهُ»، أَي: عَابَهُ وَجَعَلَهُ قَبِيحًا. وَالرَّفْقُ هُوَ لِيْنُ الْجَانِبِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالْأَخْذُ بِالْأَسْهَلِ، وَهُوَ ضِدُّ الْعُنْفِ، وَالْحَدِيثُ بَيَانٌ لَشُمُولِيَّةِ اسْتِعْمَالِ الرَّفْقِ فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَ، وَفِيهِ: فَضْلُ الرَّفْقِ وَالْحَثُّ عَلَى التَّخَلُّقِ بِهِ، وَذَمُّ الْعُنْفِ، وَأَنَّ الرَّفْقَ سَبَبٌ كُلُّ خَيْرٍ.

45 - وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: ((إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ))⁽¹⁾.

(1) أخرجه: مسلم 1/36 (17) (25).

والحلم: العقل، والأناة: الترفق وعدم التعجل..

46- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني. قال: ((لا تغضب))، فردد مراراً، قال: ((لا تغضب))⁽¹⁾.

الغضب غريزة ركبها الله في طبيعة الإنسان، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينصح كل واحد من أصحابه بما هو أولى به ويحتاجه؛ فلذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب.

وقيل: معناه: اجتنب أسباب الغضب، ولا تتعرض لما يجلبه، وأما الغضب نفسه فلا يتأتى النهي عنه؛ لأنه أمر طبعي لا يزول من الجبلة.

وقيل: معناه: لا تغضب؛ لأن أعظم ما ينشأ عنه الغضب الكبر؛ لكونه يقع عند مخالفة أمر يريده؛ فيحمله الكبر على الغضب؛ فالذي يتواضع حتى تذهب عنه عزة النفس يسلم من شر الغضب.

وقيل: معناه: لا تفعل ما يأمرك به الغضب.

وقد جمع صلى الله عليه وسلم في قوله: «لا تغضب» خيرَي الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق، وربما آل إلى إيذاء المغضوب عليه.

(1) أخرجه البخاري 8/35 (6116).

47 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((والله لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ!)) قيل: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ!)) مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ⁽¹⁾.
 ((البَوَائِقُ)): الغَوَائِلُ وَالشُّرُورُ.

48 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يُوذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسَكْتُ))⁽²⁾ مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ.
 مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُ إِيْمَانًا كَامِلًا، وَيُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الَّذِي إِلَيْهِ مَعَادُهُ وَفِيهِ مُجَازَاتُهُ بِعَمَلِهِ؛ فَلَا يُوذِ جَارَهُ، بَلْ يُكْرِمُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَاللِّطْفِ فِي مَعَامَلَتِهِ.

وَأَنَّ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ يَكُونُ بِطَلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَطَيِّبِ الْكَلَامِ، وَالْإِطْعَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، بِمَا حَضَرَهُ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ؛ لَثَلًا يُثْقَلُ عَلَيْهِ وَعَلَى نَفْسِهِ، وَبَعْدَ الثَّلَاثَةِ يُعَدُّ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ الضُّيُوفِ مَنْ يَكُونُ حَقُّهُ أَوْلَى، كَالضَّيْفِ الْمُسَافِرِ، وَهُوَ الْقَادِمُ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ، فَحَقُّهُ وَإِكْرَامُهُ أَوْلَى مِنَ الزَّائِرِ مِنَ الْبَلَدِ نَفْسِهِ، وَلَيْسَ قَادِمًا مِنَ السَّفَرِ.

(1) أخرجه: البخاري 8/12 عقيب (6016)، ومسلم 1/49 (46) (73).

(2) أخرجه: البخاري 8/39 (6136)، ومسلم 1/49 (47) (75).

وَأَنَّ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ، أَي: يَلْتَزِمِ السُّكُوتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَوْلَ الْخَيْرِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الْأَصْلِ مَأْمُورٌ بِقَوْلِ الْخَيْرِ دَوْمًا، وَإِنَّمَا نَبَّهَ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ آفَاتَ اللِّسَانِ كَثِيرَةٌ، فَإِنَّ الْمَرْءَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَلْيَتَفَكَّرْ قَبْلَ كَلَامِهِ؛ فَإِنَّ عِلْمَ أَنَّهُ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ وَلَا يَجُرُّ إِلَى مُحَرَّمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ، فَلْيَتَكَلَّمْ، وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا فَالسَّلَامَةُ فِي السُّكُوتِ؛ لِئَلَّا يَجُرَّ الْمُبَاحُ إِلَى مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ. وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْيَوْمَ الْآخِرَ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ؛ لِتَلْتَرِيبِ فِي تَحْصِيلِ الثَّوَابِ وَالنَّجَاةِ فِيهِ مِنَ الْعِقَابِ.

49 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحْمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ، وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: ((اقْرُؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٣٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٣٣﴾﴾^(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (2) وفي رواية للبخاري: فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ((مَنْ وَصَلِكَ، وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ، قَطَعْتُهُ)).

(1) [محمد: 22 - 23]

(2) أخرجه: البخاري 6/ 8 (5987) و7/ 8 (5988)، ومسلم 7/ 8 (2554) (16) ..

الأرحامُ: هم أقارب الإنسان، وكلُّ من يربطهم رابطٌ نسبٍ، سواءً أكان وارثاً لهم أو غير وارث، وتؤكد الصلة به كلما كان أقرب إليه نسباً، وصلة الرَّحْمِ من أفضل الطاعات التي يتقرب بها العبدُ إلى ربه، وقد أمر الله تعالى بها، وبين أن وصلها موجبٌ للمثوبة.

وفي هذا الحديث بيانٌ ضرورةِ صلة الرَّحْمِ، وما يترتب على قطعها والتفريط في حقوقها، والرَّحْمُ: مشتقة من الرحمة، وقد أخبر ﷺ أن الله تعالى بعدما خلق الخلق، قامت الرَّحْمُ فأخذت بحقو الرحمن، والرَّحْمُ: عرض معنوي، لكن لا يمنع أن تُخلق على الحقيقة في جسد مادي، كما سيؤتى بالموت على هيئة كبش يوم القيامة فيذبح، والحق هو الخصر، وموضع شد الإزار، وهو الموضع الذي جرت عادة العرب بالاستجارة به؛ لأنه من أحق ما يحامى عنه ويدافع، وقد يُطلق الحقو على الإزار نفسه، وهذا الحديث من أحاديث الصفات، التي نص الأئمة على أنه يمر كما جاء، وردوا على من نفى موجبها.

ثم أخبر ﷺ أن المولى سبحانه وتعالى قال للرحم وهي على هذا الحال: «مه»، أي: كفي وانزجري عن هذا، فقالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، يعني: قيامي هذا قيام المستجير بك من القطيعة، فقال المولى عز وجل: «ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟» قالت: بلى يا رب، قال: «فذاك»، أي: فهذا الذي ذكرت هو ما أفعله، وهو

أَنْنِي أَصِلُ مَنْ وَصَلَكُ، وَأَقْطَعُ مَنْ قَطَعَكَ، وهذا المرادُ بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾⁽¹⁾، يعني: فهل يتوقع منكم إن توليتم أحكام الناس وتامرتم عليهم، أو أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه أن تفسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء وتقطعوا أرحامكم؟!

وقد وردَ الحثُّ فيما لا يُحصي من النُّصوصِ الشرعيَّةِ على صلة الرَّحِمِ، ولم يردَّ لها ضابطٌ؛ فالمعولُّ على العُرفِ، وهو يَخْتَلِفُ باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمنة، والواجبُ منها ما يُعدُّ به في العُرفِ وإصلاً، وما زاد فهو تفضُّلٌ ومكرمةٌ، وأظهرها: معاودتهم، وبذل الصدقاتِ في فقرائهم، والهدايا لأغنيائهم.

وُخْلاصةُ القولِ: أنَّ مقصودَ هذا الكلامِ الإخبارُ بتأكُّدِ صلة الرَّحِمِ؛ فإنَّها قد استجارت بالله سُبْحانَه وتعالى، فأجارها، وأدخلها في ذمِّته وخِفارتِه، وإذا كان كذلك فجارُ الله تعالى غيرُ مخذولٍ، وعَهْدُه غيرُ منقوضٍ.

(1) [محمد: 22]

50 - وعن أنس رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((من أحبَّ أن يُبسَطَ له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه))⁽¹⁾.

فِيخْبِرُ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ بَصَلَةُ الْأَرْحَامِ يُوسِّعُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَرْزَاقَ وَيُبَارِكُ فِيهَا؛ فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ. وَقَوْلُهُ: «وَيُنْسَأُ لَهُ فِي أَثَرِهِ»، يَعْنِي: يُطَوِّلُ اللَّهُ فِي عُمُرِ الْوَاصِلِ، وَمَعْنَى تَأْخِيرِ الْأَجَلِ وَزِيَادَةِ الْعُمُرِ: الزِّيَادَةُ بِالْبِرْكَاتِ فِيهِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَاتِ، وَعِمَارَةِ أَوْقَاتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَصِيَانَتِهِ عَنِ الضِّيَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ. أَوْ الْمَرَادُ: بَقَاءُ ذِكْرِهِ الْجَمِيلِ بَعْدَهُ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَقِيلَ: الْأَجَلُ أَجْلَانِ: أَجَلٌ مُطْلَقٌ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَأَجَلٌ مُقَيَّدٌ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمَلِكَ أَنْ يَكْتُبَ لِلْإِنْسَانِ أَجْلاً، وَقَالَ: إِنْ وَصَلَ رَحِمَهُ زَدْتَهُ كَذَا وَكَذَا، وَالْمَلِكُ لَا يَعْلَمُ أَيُّزَادُ أَمْ لَا، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ.

51 - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها))⁽²⁾.

لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، أَي: لَيْسَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ فِي صِلَةِ الرَّحِمِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقْرَابِ، هُوَ الشَّخْصَ الَّذِي يُقَابِلُ الْإِحْسَانَ بِالْإِحْسَانِ، وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ الْكَامِلُ فِي صِلَةِ الرَّحِمِ

(1) أخرجه: البخاري 3 / 73 (2067)، ومسلم 8 / 8 (2557) (21).

(2) أخرجه: البخاري 8 / 7 (5991).

هو الذي إذا قُطعت رِحمُه وصلَّها، أي: إذا أساء إليه أقاربه
أحسن إليهم ووصلهم

52 - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما،
عن النبي ﷺ، قال: ((رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف
من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل
الجنة))⁽¹⁾ رواه مسلم.

وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: «رغم أنف»، أي: لصق
أنفه بالرغام، وهو التراب المختلط بالرمل، والمراد به: الذل
والخزي، وكررها ثلاثاً؛ زيادة في التنفير والزجر عما يذكر
بعده، فسئل: من هذا يا رسول الله؟ فأجاب ﷺ: «من أدرك
والديه - أحدهما أو كليهما - عند الكبر، فلم يدخل الجنة»؛
وذلك بسبب عقوقهما، فبرهما عند كبرهما وضعفهما
بالخدمة والنفقة وغير ذلك؛ سبب لدخول الجنة، فمن قصر
في ذلك فاتته دخولها، واستحق سوء العاقبة.

وخصَّ حالة الكبر بالذكر مع أن برَّ الوالدين ينبغي
المحافظة عليه في كل وقت، وفي كل حالة؛ لأنه أحوج الأوقات
إلى حقوقهما؛ لشدة احتياجهما إلى البرِّ والخدمة في تلك
الحالة.

(1) أخرجه: مسلم 8/5 (2551) (9)

وقد ورد في القرآن بيان كيفية التعامل مع الوالدين؛ فقال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾^(١)؛ فقد أمر الله تعالى وأوجب ووصى بعبادته وحده، وبالإحسان إلى الوالدين، فإن عاشا حتى كبرت سنهما وضعفت قواهما - أحدهما أو كلاهما -؛ فلا يجوز التآفف وإظهار التضجر منهما، ولا يجوز انتهارهما وإغلاظ القول لهما، بل الواجب على الابن أن يقول لهما قولاً حسناً ليناً، رقيقاً جميلاً يفرحهما، فيه تأدب معهما، وتلطّف لهما، وعليه أن يكون ذليلاً متواضعاً لوالديه؛ رحمةً منه بهما، فلا يخالفهما فيما يأمرانه به وينهيناه عنه ممّا ليس فيه معصية لله تعالى، وأن يدعوا لهما بالرحمة؛ جزاءً لهما على تربيتهما له في صغره.

53 - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: ((أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ))، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ))، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أَبُوكَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.^(٢)

{الإسراء: 23 - 24}

(2) أخرجه: البخاري 8/2 (5971)، ومسلم 8/2 (2548) (1) و(2).

فَالْبُرِّ بِالْوَالِدَيْنِ بَابٌ وَاسِعٌ لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ.

54 - وعن أبي محمد جبير بن مطعم رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ))⁽¹⁾ يَعْنِي: قَاطِعٌ رَحِمٍ.

55 - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَنْ الْكَبَائِرِ شَتُمَ الرَّجُلَ وَالِدَيْهِ!))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: ((نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ))⁽²⁾.

فَحَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْأَبْنَاءِ كَبِيرٌ جَدًّا، أَقْلَهُ: احْتِرَامُهُمَا وَتَعْظِيمُ حَقِّهِمَا بِالْأَلْيَسِيِّ إِيَّهِمَا مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَ أَنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، أَي: كَبْرٌ مِنَ الْمَعَاصِي وَعَظَمٌ مِنَ الذُّنُوبِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، بِسَبِّهِمَا وَشَتْمِهِمَا، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْعُقُوقِ، وَكُفْرَانٌ لِحُقُوقِهِمَا، وَهُوَ إِسَاءَةٌ فِي مَقَابِلَةِ إِحْسَانِ الْوَالِدَيْنِ، فَتَعَجَّبَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَسَأَلُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! هُوَ اسْتِبْعَادٌ مِنَ السَّائِلِ؛ لِأَنَّ الطَّبْعَ وَالْفِطْرَةَ يَتَنَافِيَانِ

(1) أخرجه: البخاري 8/6 (5984)، ومسلم 8/7 (2556) (18).

(2) أخرجه: البخاري 8/3 (5973)، ومسلم 1/64 (90) (146).

مع لعن الوالدين، فأجاب النبي ﷺ أن ذلك يكون بأن يشتم رجلٌ أباً رجلٍ آخر، فيسبُّ المشتوم أباً الشاتم ويسبُّ أمه، فبين أنه وإن لم يتعاط الابن السبَّ بنفسه، فقد يقع منه التسبُّ، فإذا كان التسبُّ في لعن الوالدين من أكبر الكبائر فالتصريحُ بلعنهما أشدُّ.

56 - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ!)) فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ: بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمْطُ النَّاسِ))⁽¹⁾.

((بَطْرُ الْحَقِّ)): دَفَعُهُ وَرَدَّهُ عَلَى قَائِلِهِ، وَ((عَمَطُ النَّاسِ)): احْتِقَارُهُمْ.

فالكبر والتكبر والتعاضم على الناس من الصفات التي تدلُّ على فساد القلوب، وفي هذا الحديث يوضح النبي ﷺ سوء عاقبة الكبر، ويصوب بعض المفاهيم عند الناس المتعلقة بحسن الهيئة، فيخبر أن الله عز وجل لا يدخل أحداً الجنة وفي قلبه وزن ذرة من الكبر، والذرة هي الغبار الدقيق الذي يظهر في الضوء، أو هي النملة الصغيرة، وهو يدلُّ على أن أقلَّ القليل من الكبر إذا وجد في القلب كان سبباً لعدم دخول

(1) أخرجه: مسلم 1/65 (91) (147)

الجَنَّةَ، وَعَدَمُ دُخُولِ الْجَنَّةِ هُنَا إِذَا كَانَ الْمَرْءُ مُسْلِمًا مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا ابْتِدَاءً حَتَّى يُجَازِيَ عَلَى هَذَا الْكِبَرِ.

وَقَدْ ظَنَّ أَحَدُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ تَجْمِيلَ الثِّيَابِ وَالْمَظْهَرَ يَدْخُلُ ضَمْنَ الْكِبَرِ الَّذِي يُحَذَّرُ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَأَلَ الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ: هَلْ يَعْذُ حُبُّ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ ذَا هَيْئَةٍ وَمَظْهَرٍ حَسَنٍ مِنَ الْكِبَرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»، أَي: يُحِبُّ الْحَسَنَ مِنَ الْأَشْيَاءِ؛ فَبَيْنَ أَنَّ الْهَيْئَةَ الْحَسَنَةَ مِنَ النَّظَافَةِ وَالْجَمَالَ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَلَا يُبْغِضُهُ تَمَّ أَوْضَحَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَعْنَى الْكِبَرِ الْمَقْصُودِ هُوَ «بَطْرُ الْحَقِّ»، أَي: رَفْضُ الْحَقِّ وَالْبُعْدُ عَنْهُ تَرْفَعًا وَتَجَبُّرًا، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ حَقًّا مِنْ تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ بَاطِلًا، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَتَجَبَّرَ عِنْدَ الْحَقِّ، فَلَا يَرَاهُ حَقًّا، وَلَا يَقْبَلُهُ، «وَعَمَّطُ النَّاسِ»، أَي: احْتِقَارُهُمْ وَازْدِرَائُهُمْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ هَذَا، يُوجِبُ لَهُ أَنْ يَجْحَدَ الْحَقَّ الَّذِي يُحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يُقَرَّبَ بِهِ، وَأَنْ يَحْتَقِرَ النَّاسَ، فَيَكُونَ ظَالِمًا لَهُمْ، مُعْتَدِيًا عَلَيْهِمْ.

57 - وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((أَلَا أُنبئُكُمْ مَا الْعِضَةُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ؛ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ)).⁽¹⁾

(1) أخرجه: مسلم 8/28 (2606) (102)

58 - وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ))⁽¹⁾ (2)

الاستماعُ للغيرِ بنيةً نقلَ الكلامِ من الصِّفَاتِ المذمومة؛
ولذلك أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ أَوْ قَتَاتٌ:
مَنْ قَتَّ الْحَدِيثَ يَقْتُهُ قَتًّا: إِذَا تَسَمَّعَ إِلَى حَدِيثِ شَخْصٍ،
فَنَقَلَهُ إِلَى غَيْرِهِ بِقَصْدِ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمَا، وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا النَّمِيمَةُ

59 - وعن أبي مسعود عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ
رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ
أَجْرِ فَاعِلِهِ))⁽³⁾ (3)

60 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ:
((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ،
لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ
عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ
شَيْئًا))⁽⁴⁾ (4)

(1) لفظ البخاري: (لا يدخل الجنة قتات) .

(2) أخرجه: مسلم 6 / 41 (1893) (133) .

(3) أخرجه: البخاري 8 / 21 (6056) ، ومسلم 1 / 70 (105) (167) .

(4) أخرجه: مسلم 8 / 62 (2674) (16) .

وفي هذا دليلٌ على أن المتسبب كالمباشر، فهذا الذي دعا إلى الهدى تسبب فكان له مثل أجر من فعله، والذي دعا إلى السوء أو إلى الوزر تسبب فكان عليه مثل وزر من اتبعه.

61 - عن أبي رُقَيْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسِ الدَارِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((الِدِّينُ النَّصِيحَةُ)) قَلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: ((لِللَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))⁽¹⁾.

فِيخْبِرُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ النَّصِيحَةَ هِيَ عِمَادُ الدِّينِ وَجَوْهَرُهُ، وَالْحَثُّ عَلَى النَّصْحِ لِكَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مُسْتَوِيَاتِهِمْ

62 - عن أَنَسِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))⁽²⁾.

لَا يَتَحَقَّقُ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - وَالنَّفْيُ هُنَا لَا يُقْصَدُ بِهِ نَفْيُ أَصْلِ الْإِيمَانِ، وَإِنَّمَا نَفْيُ الْكَمَالِ - حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَأَنْوَاعِ الْخَيْرَاتِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، فَإِنْ رَأَى فِي أَخِيهِ الْمُسْلِمِ نَقْصًا فِي دِينِهِ، اجْتَهَدَ فِي إِصْلَاحِهِ، وَإِنْ رَأَى فِيهِ خَيْرًا سَدَّدَهُ وَأَعَانَهُ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَيْهِ وَالزِّيَادَةِ مِنْهُ؛ فَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا

(1) أخرجه: مسلم 1/53 (55) (95)

(2) أخرجه: البخاري 1/10 (13)، ومسلم 1/49 (45) (71)

حَقًّا حَتَّى يَرْضَى لِلنَّاسِ مَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَأْتِي مِنَ كَمَالِ سَلَامَةِ الصَّدْرِ مِنَ الْغُلِّ وَالْغَشِّ وَالْحَسَدِ؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَقْتَضِي أَنْ يَكْرَهُ الْحَاسِدُ أَنْ يَفُوقَهُ أَحَدٌ فِي خَيْرٍ، أَوْ يُسَاوِيَهُ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَمْتَازَ عَلَى النَّاسِ بِفَضَائِلِهِ، وَيَنْفَرِدَ بِهَا عَنْهُمْ، وَالْإِيمَانَ يَقْتَضِي خِلَافَ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يَشْرَكَهُ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ فِيمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ.

63 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))⁽¹⁾.

وَفِي الْحَدِيثِ: الْأَمْرُ بِالتَّدْرِجِ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، كُلٌّ بِحَسَبِ اسْتَطَاعَتِهِ وَقُدْرَاتِهِ.

64 - عَنْ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((مِثْلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمِثْلِ قَوْمِ اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَغْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ

(1) أخرجه: مسلم 1/50 (49) (78).

فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على
أيديهم نجوا ونجوا جميعاً⁽¹⁾.

((القائم في حدود الله تعالى)) معناه: المنكر لها، القائم
في دفعها وإزالتها، والمراد بالحدود: ما نهى الله عنه.
((استهموا)): اقترعوا.

وفي هذا الحديث يضرب النبي ﷺ مثلاً لأهمية القيام
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمثل القائم بحدود الله
- وهم المستقيمون على أمر الله، الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر- والواقعين في حدود الله - أي: التاركين للمعروف،
والمرتكبين للمنكر- بركاب ركبوا في سفينة، تنازعوا من يكون
في أعلاها ومن يكون في أسفلها، فاقترعوا على من يجلس
أعلى السفينة ومن يجلس أسفلها، فقال بعضهم بالقرعة
أعلاها، وبعضهم نال بالقرعة أسفلها، وكان الذين في الأسفل
إذا أرادوا جلب الماء مروا على من فوقهم من أهل الأدوار
العليا، وفي موضع آخر في صحيح البخاري قال: «فتأذوا به»،
ففي ذهابهم وإيابهم وإمرارهم بالماء عليهم أذية لمن هم في
أعلى السفينة، فقال الذين في الأسفل: لو أننا خرقتنا خرقة في
نصيبنا الذي في الأسفل، فجلبنا الماء مباشرة دون أن نصعد
لأعلى السفينة ونضرم من في الأعلى؛ لكان أفضل، وفي رواية
في البخاري قال: «فأخذ فأساً، فجعل ينقر أسفل السفينة»،

(1) أخرجه البخاري 3/182 (2493) ..

فلو تركهم من بالأعلى يفعلون ذلك، لغرقت السفينة بهم جميعاً؛ لأن من لازم خرق السفينة عرفها وأهلها. ولو قاموا بنهيهم عن ذلك ومنعواهم من ارتكاب هذا الخطأ، لنجى الفريقان جميعاً، فهذا هو حال الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، لو تركوا ذلك لهلكت الأمة بأجمعها، ولو فعلوه ونهوا الناس عن المنكر لصلح حال الجميع.

65 - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((إياكم والجلوس في الطرقات!)) فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه)). قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: ((غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر))⁽¹⁾.

يُحذر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من الجلوس على الطرقات، فإن كان لا بد من ذلك، فإنه يجب أن يعطى الطريق حقه.

وحق الطريق خمسة أمور؛ بينها النبي صلى الله عليه وسلم وهي: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»، هذه حقوق الطريق لمن كان جالساً فيه كما بينها النبي صلى الله عليه وسلم.

(1) أخرجه: البخاري 6/3 (6229)، ومسلم 6/165 (2121) (114)..

66 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان))⁽¹⁾.

وفي هذا الحديث بين النبي صلى الله عليه وسلم النفاق العملي، وذكر فيه العلامات المميزة له، فقال: آية المنافق ثلاث، أي: من علامات النفاق العملي التي تدل على أن صاحبها يشبه المنافقين في أعمالهم وأخلاقهم أن توجد في المرء هذه الخصال الثلاث أو بعضها؛ فالعلامة الأولى: إذا حدث كذب؛ وذلك بأن يشتهر ذلك الإنسان بالكذب في الحديث. والعلامة الثانية: إذا وعد أخلف، وذلك بأن يشتهر بخلف الوعد، بحيث إذا وعد بشيء تعمد الخلف. والعلامة الثالثة: إذا أؤتمن خان، وذلك بأن يشتهر بالخيانة بين الناس. وهذه الأشياء المذكورة ترجع إلى أصل واحد؛ وهو النفاق الذي يباينه الصدق، ويؤايله الوفاء، وتوافيه الأمانة، والمقصود من الحديث: أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، وممتثل بأخلاقهم، لا أنه منافق يظهر الإسلام وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلفين في الدرك الأسفل من النار. وفي الحديث: تنبيه على صفات النفاق المذمومة للتخويف والتحذير من الوقوع فيها.

(1) أخرجه: البخاري 1/15 (33)، ومسلم 1/56 (59) (107) و(109)..

67 - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما،
 عن النبي ﷺ، قَالَ: ((المُسلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ
 وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ))⁽¹⁾.

يُرْشِدُنَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى التَّحَلِّيِّ بِالأَدَابِ والأَخْلَاقِ الإِسْلَامِيَّةِ،
 الَّتِي تَزِيدُ الأَلْفَةَ وَالمَوَدَّةَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّ المُسْلِمَ
 الكَامِلَ الجَامِعَ لخصال الإسلام: هُوَ مَنْ لَمْ يُؤْذِ مُسْلِمًا بِقَوْلٍ
 وَلَا فِعْلٍ، وَخَصَّ اللِّسَانَ وَاليَدَ؛ لكَثْرَةِ أخطائهما وَأضرارهما؛
 فَإِنَّ مُعْظَمَ الشُّرُورِ تَصَدَّرَ عَنْهُمَا؛ فَاللِّسَانُ يَكْذِبُ، وَيَغْتَابُ،
 وَيَسُبُّ، وَيَشْهَدُ بِالزُّورِ، وَاليَدُ تَضْرِبُ، وَتَقْتُلُ، وَتَسْرِقُ، إِلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدَّمَ اللِّسَانَ؛ لِأَنَّ الإيذاءَ بِهِ أَكْثَرُ وَأَسْهَلُ، وَأَشَدُّ
 نَكَايَةً، وَيَعْمُ الأَحْيَاءَ وَالأَمْواتَ جَمِيعًا. وَبَيَّنَّ أَنَّ المُهَاجِرَ هُوَ مَنْ
 هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ.

68 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:
 ((أَتَدْرُونَ مَنْ المُفْلِسُ؟)) قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دَرَهَمَ لَهُ
 وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: ((إِنَّ المُفْلِسَ مَنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ
 بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ⁽²⁾ هَذَا،
 وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا
 مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ

(1) أخرجه: مسلم 8/18 (2581) (59).

(2) القذف: رمي المرأة بالزنا أو ما كان في معناه.

يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ⁽¹⁾.

مِنْ شَنَائِعِ الْأُمُورِ الَّتِي يَفْعَلُ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُمْ رَبَّمَا يُحْسِنُونَ الْعِبَادَاتِ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَقْتَرِفُونَ مَعَهَا الذُّنُوبَ، وَالَّتِي مِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ الْعِبَادِ، وَسَوْفَ يُحَاسِبُ كُلُّ إِنْسَانٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَذَكَرَ هَذِهِ السَّيِّئَاتِ لَيْسَ لِلْحَصْرِ، بَلْ هُوَ تَمَثِيلٌ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْمَعَاصِي، وَالْمَقْصُودُ جَمِيعُ حُقُوقِ الْعِبَادِ، وَالْمَعْنَى: مَنْ جَمَعَ بَيْنَ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ وَهَذِهِ السَّيِّئَاتِ، فَيُعْطَى هَذَا الْمَظْلُومُ بَعْضَ حَسَنَاتِ الظَّالِمِ، وَيُعْطَى الْمَظْلُومُ الْآخَرَ بَعْضَ حَسَنَاتِهِ، فَإِنَّ فَنِيَتَ حَسَنَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْحُقُوقِ، أَخَذَ الظَّالِمُ مِنْ سَيِّئَاتِ أَصْحَابِ الْحُقُوقِ، فَطَرِحَتْ عَلَى هَذَا الظَّالِمِ وَوُضِعَتْ عَلَيْهِ.

69 - وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى))⁽²⁾.

(1) أخرجه: مسلم 8/18 (2581) (59).

(2) أخرجه: البخاري 8/11 (6011)، ومسلم 8/20 (2586) (66).

فالمسلمون يستشعرون آلام بعضهم ومصائبهم بالعون
وتقديم مُساعدة بعضهم بعضاً، كمثل الجسد الواحد، إذا
مرض منه عضوُ انهارَ له سائرُ جسده، وهذا تنبيهٌ للمسلمين
بأن يكونوا كذلك في جميع شؤونهم.

70 - وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تحاسدوا، ولا تناجسوا، ولا تبأغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يأخذله، التَّقْوَى هَاهُنَا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه)).⁽¹⁾

نهى النبي ﷺ عن مساوئ الأخلاق، ومنها الحسد؛ فلا يحسد بعضنا بعضاً، والحسد هو تمنى زوال نعمة المحسود، وهو اعتراض على الله تعالى له حيث أنعم على غيره، مع محاولته نقض فعله تعالى وإزالة فضله سبحانه، والحسد غير الغبطة، وهي أن يرى المرء نعمة عند غيره، فيتمنى مثلها لنفسه دون زوالها عن أخيه.

(1) أخرجه: مسلم 8/10 (2564) (32).

ثُمَّ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّجْشِ، وَهُوَ أَنْ يَزِيدَ الْإِنْسَانَ فِي سِعْرِ السَّلْعَةِ لِارْتِغَابِهَا فِي شِرَائِهَا؛ بَلْ لِيُخَدَعَ غَيْرُهُ بِتَكْثِيرِ الثَّمَنِ عَلَيْهِ لِيَشْتَرِيَهَا بِسِعْرِ زَائِدٍ، سَوَاءٌ كَانَ بِمَوَاطَاةِ الْبَائِعِ أَمْ لَا؛ لِأَنَّهُ غَشٌّ وَخَدَاعٌ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يُفْسَرَ التَّنَجُّشُ الْمُنْهَى عَنْهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِمَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ أَصْلَ النَّجْشِ فِي اللُّغَةِ إِثَارَةُ الشَّيْءِ بِالْمَكْرِ وَالْحِيلَةِ وَالْمُخَادَعَةِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَعْنَى: لَا تَتَخَادَعُوا، وَلَا يُعَامِلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَكْرِ وَالْإِحْتِيَالِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِالْمَكْرِ وَالْمُخَادَعَةِ إِيْصَالُ الْأَذَى إِلَى الْمُسْلِمِ.

ثُمَّ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ التَّبَاغُضِ، وَهُوَ أَلَّا يَتَعَاطَى الرَّجُلُ أَسْبَابَ الْبُغْضِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ؛ لِأَنَّ الْبُغْضَ لَا يُكْتَسَبُ ابْتِدَاءً، وَالْبُغْضُ هُوَ النَّفْرَةُ عَنِ الشَّيْءِ لِمَعْنَى فِيهِ مُسْتَقْبَحٍ، وَتَرَادُفُهُ الْكِرَاهَةُ، ثُمَّ هُوَ بَيْنَ اثْنَيْنِ؛ إِمَّا مِنْ جَانِبَيْهِمَا أَوْ مِنْ جَانِبِ أَحَدِهِمَا. ثُمَّ نَهَى عَنِ التَّدَابُرِ، وَهُوَ أَنْ يُؤَلِّيَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ظَهْرَهُ؛ إِمَّا حِسِّيًّا فَلَا يُجَالِسُهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَإِمَّا مَعْنَوِيًّا فَلَا يُظْهِرُ الْإِهْتِمَامَ بِهِ.

ثُمَّ نَهَى ﷺ عَنِ بَيْعِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، فَلَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ بَغَيْرِ إِذْنِ الْبَائِعِ أَنْ يَقُولَ لِمُشْتَرِي سِلْعَةٍ فِي زَمَنِ الْخِيَارِ: أَفْسَخْ هَذَا الْبَيْعَ وَأَنَا أَبِيعُكَ مِثْلَهُ بِأَرْخَصٍ مِنْ ثَمَنِهِ أَوْ أَجُودَ مِنْهُ بِثَمَنِهِ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيذَاءِ الْمَوْجِبِ لِلتَّنَافُرِ وَالْبُغْضِ.

ثُمَّ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ لِلتَّقْوَى فَقَالَ: «التَّقْوَى هَاهُنَا» وَالتَّقْوَى هِيَ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَاجْتِنَابُ عَذَابِهِ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكُ الْمَحْظُورِ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «بِحَسَبِ أَمْرِي»، أَي: يَكْفِي الْإِنْسَانَ مِنَ الشَّرِّ؛ وَذَلِكَ لِعَظْمِهِ فِي الشَّرِّ، كَافٍ لَهُ عَنِ اكْتِسَابِ آخَرَ؛ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، فَإِنَّهُ النَّصِيبُ الْأَكْبَرُ وَالْحِظُّ الْأَوْفَى، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرِضُهُ»؛ فَلَا يَقْتُلُهُ، أَوْ يَسْرِقُهُ، أَوْ يَطْعَنُ فِي شَرَفِهِ.

71 - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَنْصُرُ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا)) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: ((تَحْجُزْهُ - أَوْ تَمْنَعْهُ - مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ))⁽¹⁾.

فَنُصِّرْتُهُ فِي حَالِ كَوْنِهِ مَظْلُومًا بِالسَّعْيِ فِي تَخْلِيصِهِ مِنْ مَظْلَمَتِهِ، وَيَكُونُ عَوْنًا لَهُ، وَيَكُونُ مَعَهُ عَلَى الظَّالِمِ أَحَادِيثٌ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ..

وَقَدْ اسْتَشْكَلَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ كَيْفِيَّةَ نَصْرَتِهِ لِلظَّالِمِ، فَبَيَّنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «تَحْجُزْهُ - أَوْ: تَمْنَعْهُ» مِنَ الظُّلْمِ وَالشُّكِّ مِنَ الرَّأْيِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَنْعَ نَصْرَهُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا مَنَعَهُ مِنْ ظُلْمِهِ فَقَدْ

(1) أخرجه: البخاري 9/28 (6952).

نَصْرَهُ عَلَى هَوَاهُ وَعَلَى شَيْطَانِهِ الَّذِي يُغْوِيهِ، وَعَلَى نَفْسِهِ الَّتِي تَأْمُرُهُ بِالسُّوءِ، وَذَلِكَ هُوَ أَفْضَلُ النَّصْرِ

72 - وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: ((كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ))⁽¹⁾.

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِذَا ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً، يُرْجَى لَهُ عَفْوُ اللَّهِ وَمَغْفِرَتُهُ، وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِالْفَاحِشَةِ ثُمَّ يُشَيِّعُهَا بَيْنَ النَّاسِ تَفَاخُرًا وَتَهَوُّرًا وَوَقَاحَةً.

73 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))⁽²⁾.

فَعَلِينَا أَنْ نَسْتُرَ عَلَى الْعَبْدِ الَّذِي ارْتَكَبَ ذَنْبًا ثُمَّ نَدْمَ وَتَابَ وَأَصْلَحَ وَلَمْ يَصِرْ عَلَى ذَنْبِهِ.

(1) أخرجه: البخاري 8/24 (6069)، ومسلم 8/224 (2990) (52).

(2) أخرجه: مسلم 8/21 (2590) (72).

74 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))⁽¹⁾.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً»، أي: رَفَعَ عن مؤمن حُزناً وَعِنَاءً وَشِدَّةً، ولو كان يَسِيرًا، فيكون الثواب والأجرُ أن يُنَفَسَ اللهُ عنه كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَتَنْفِيسُ الْكُرْبِ إِحْسَانٌ، فَجَزَاهُ اللهُ جَزَاءً وَفَاقًا، «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ»، وَالتَّيْسِيرُ عَلَى الْمُعْسِرِ فِي الدُّنْيَا مِنْ جِهَةِ الْمَالِ يَكُونُ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِإِنْظَارِهِ إِلَى الْمَيْسَرَةِ، وَتَارَةً بِالْوَضْعِ عَنْهُ إِنْ كَانَ غَرِيماً، أَيْ: عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَإِلَّا فَبِإِعْطَائِهِ مَا يَزُولُ بِهِ إِعْسَارُهُ، وَكِلَاهُمَا لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَجَزَاؤُهُ أَنْ يُيَسِّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُقَابِلَ تَيْسِيرِهِ عَلَى عَبْدِهِ؛ مُجَازَاةً لَهُ بِجِنْسِ عَمَلِهِ، «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا»، أَيْ: رَأَى عَلَى قَبِيحٍ فَلَمْ يُظْهِرْهُ لِلنَّاسِ، فَيَكُونُ جَزَاؤُهُ أَنْ يَسْتُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا، أَيْ: يَسْتُرَ عَوْرَتَهُ أَوْ عُيُوبَهُ، وَيَسْتُرَهُ فِي الْآخِرَةِ عَنْ أَهْلِ الْمَوْقِفِ، وَهَذَا فِيمَنْ كَانَ مَسْتَوْرًا لَا يُعْرَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي، فَإِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ أَوْ زَلَّةٌ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ هَتْكُهَا وَلَا كَشْفُهَا وَلَا التَّحَدُّثُ بِهَا، وَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يَقْتَضِي تَرْكَ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.

(1) أخرجه: مسلم 8/71 (2699) (38)

وقوله: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»،
 أي: من أعان أخاه أعانه الله، ومن كان ساعياً في قضاء
 حاجات أخيه، قضى الله حاجاته؛ فالجزاء من جنس العمل.

75 - وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه،
 قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا،
 ويعرف شرف كبيرنا))⁽¹⁾.

«ليس منا»، أي: ليس على طريقتنا وهدينا وسنتنا، «من لم
 يرحم صغيرنا»، فيعطيه حقه من الرِّفق، واللطف، والشفقة،
 ويحتمل أن المراد صغير المسلمين، ويحتمل أن المراد صغير
 بني آدم؛ إذ العلة الصغر «ويعرف حق كبيرنا» فيعطيه حقه
 من التعظيم والإكرام، إذ خلق أهل الإسلام رحمة الصغير،
 ومعرفة الحق للكبير، وخاصة إذا كان له شرف بعلم أو صلاح
 أو نسب زكي.

76 - وعن ميمون بن أبي شبيب رحمه الله: أن عائشة
 رضي الله عنها مرَّ بها سائل، فأعطته كسرةً، ومرَّ بها رجلٌ
 عليه ثياب وهيبةٌ، فأقعده، فأكل، فقيل لها في ذلك؟ فقالت:
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنزلوا الناس منازلهم))⁽²⁾.

(1) أخرجه: أبو داود (4943)، والترمذي (1920)

(2) أخرجه: أبو داود (4842)، وذكره مسلم في مقدمة صحيحه 1/5، والحاكم في معرفة

علوم الحديث: 217.

أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ، وَهَذَا إِرْشَادٌ إِلَى إِكْرَامِ وُجُوهِ النَّاسِ وَتَبْجِيلِهِمْ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَتَأْلُفِهِمْ؛ وَأَحَقُّ الْخَلْقِ بِالْإِكْرَامِ وَالتَّبْجِيلِ: الْأَنْبِيَاءُ، وَالْأُمَّةُ، وَمَنْ يَخْلُفُهُمْ مِنْ أَوْلِي الْأَمْرِ، وَالْعُلَمَاءُ، وَالسَّادَةُ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ؛ حَتَّى لَا يُؤَخَّرَ مُقَدِّمٌ وَلَا يُقَدِّمَ مُؤَخَّرٌ، فَتَنْفَرِ الْقُلُوبُ وَالخَوَاطِرُ، وَتَضْطَرِبَ الْأَحْوَالُ؛ فَمَنْ تَأَلَّفَتْ فِيهِ هَذِهِ الْمَنَازِلُ فَهُوَ الْمُقَدِّمُ.

وَهَذَا أَدَبٌ نَبَوِيٌّ وَتَرْبِيَةٌ قَوِيمَةٌ، وَفِيهَا الْحَضُّ عَلَيَّ مُرَاعَاةَ مَقَادِيرِ النَّاسِ، وَمَرَاتِبِهِمْ، وَمَنَاصِبِهِمْ، فَيُعَامَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا يَلِيْقُ بِحَالِهِ، وَبِمَا يُلَائِمُ مَنْصِبَهُ فِي الدِّينِ، وَالْعِلْمِ، وَالشَّرَفِ، وَالْمَرْتَبَةِ.

77 - وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ الْمَسْكِ، وَنَافِخِ الْكَيْرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَيْرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتَنَةً))⁽¹⁾.

(1) أخرجه: البخاري 7/125 (5534)، ومسلم 8/37 (2628) (146).

78 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل))⁽¹⁾.

مُصَاحِبَةُ الصَّالِحِينَ وَمُجَالَسَتُهُمْ مِنْ شِيَمِ الْأَخْيَارِ، وَهُوَ طَرِيقٌ لِنَيْلِ السَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ، أَمَّا مُصَاحِبَةُ الْأَشْرَارِ الطَّالِحِينَ فَمِنْ شِيَمِ ضِعَافِ النُّفُوسِ، وَطَرِيقٌ لِلْخَسَارَةِ وَالْبَوَارِ.

79 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيَّنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخَا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرِيهَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ))⁽²⁾.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ زِيَارَةَ أَخِيهِ فِي اللَّهِ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، غَيْرَ مَكَانِ إِقَامَةِ الزَّائِرِ؛ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْأُخُوَّةِ هُنَا أُخُوَّةَ الْإِيمَانِ، لَا أُخُوَّةَ النَّسَبِ، فَأَعَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَهَيْأًا وَأَقْعَدَ فِي طَرِيقِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الزَّائِرِ مَلَكًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَنْتَظِرُهُ وَيَرْتَقِبُهُ لِيُبَشِّرَهُ، فَلَمَّا جَاءَ الرَّجُلُ وَوَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ الْمَلِكُ، سَأَلَهُ

(1) أخرجه: أبو داود (4833)، والترمذي (2378)

(2) أخرجه: مسلم 8/12 (2567) (38)

الملك عن مكان ذهابه، فأجابه أنه يريد زيارة أخ لي في هذه القرية -ولعل القرية كانت قريبة منه، ولذلك أشار عليها-، فسأله الملك: هل لك على الشخص التي تريد زيارته من «نعمة تربُّها»؟ والمعنى: هل لهذا الرجل المزور من نعم دنيوية تريد أن تستوفيها له بزيارتك تلك، فأخبره الرجل أنه لا يزوره لغرض من أغراض الدنيا، وليس لي داعية إلى زيارته إلا محبتي إياه في طلب مرضاة الله، فأخبره الملك أنه رسول من الله أرسل إليه؛ ليُبشِّره بأن الله سبحانه قد أحبه لمحبتة صاحبه في الله، ومن أثرها إكرام الله سبحانه، وإحسانه إلى عبده، ورحمته له، ورضاه عنه.

80 - وعنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))⁽¹⁾.

وَأَنَّ التَّحَابَّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ؛ فَيَقُولُ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا»، أَي: لَا يَكْتَمِلُ إِيْمَانُكُمْ وَلَا يَصْلُحُ حَالُكُمْ فِي الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ثُمَّ يَدُلُّنَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَفْضَلِ وَأَكْمَلِ الْخِصَالِ الْمُسَاعِدَةِ عَلَى هَذَا النَّوعِ مِنْ

(1) أخرجه: مسلم 1/53 (54) (94)

التَّحَابُّ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَهِيَ إِفْشَاءُ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
بِإِظْهَارِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

81 - وعن معاذ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ:
(قَالَ اللَّهُ عز وجل: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي، لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ
يَغْبِطُهُمْ⁽¹⁾ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ⁽²⁾).

قال الله عز وجل: «المتحابون»، أي: الذين كانت قلوبهم
مجتمعة على المحبة «في جلالِي»، أي: سبب حبهم هو إجلالي
وتعظيمي، فلا يحبون إلا ما يحبه الله، واجتمعوا في محبتهم
من أجلي «لهم منابر»، أي: يوم القيامة، والمنبر هو ما يجلس
عليه في المحافل وهذه المنابر يوم القيامة تكون «من نور»،
أي: تكون في أجمل صورة وأحسن منظر وأبهاه، «يغبطهم
النبيون والشهداء»، والغبطة هي أن يتمنى الإنسان نعمة على
أن لا تزول عن صاحبها، وقيل: هي الاستحسان، والمعنى: أن
الأنبياء والشهداء يستحسنون أحوال هؤلاء المتحابين.

وحب الإنسان لأخيه الإنسان بدون حقد أو حسد، وأن
يجب له الخير، من الممكن أن يكون ذلك صعباً على النفس
البشرية لذلك أجره عظيم عند الله..

(1) أي تمنى مثل ما للغير من الخير من غير زواله عن صاحبه.

(2) أخرجه: الترمذي (2390)



وقفة 6



لا تحمل هم اليوم لأنك كنت تحمل هم الأمس ومر
ذاك الأمس، وكيف تحمل همًا وربك كريم واسع
الفضل...!

«نستودعك يا الله حالنا، فاجعله يا ربّ في خير،
وعلى خير، وإلى خير...»





باب اعتذار للقوارير

في هذا الباب هو فقط اعتذار للقوارير وهن النساء، وهذا التعبير بحكم التركيب والمجاز وفيه تشبيه للنساء بالزجاج وذلك لضعفهن ورقتهن، سألقي لو بصيص من الضوء على بعض الأشياء التي صارت مهمشة، وغفل عنها الكثير أو لا يقدرونها بالقدر الكافي، ولن أخفيكم سرّاً أنني لم أدرك أو أبحث في تلك النقطة وأستفيض فيها إلا بعد ميلاد أختي وسأذكر قصة ذلك لاحقاً.

82 - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ((استوصوا بالنساء خيراً؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته، لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء))⁽¹⁾.

والنبي صلّى الله عليه وآله بعدما وصى على النساء، وقال في طبيعة خلقتهم أنهن خلقن من ضلع أعوج وأكد بأن أعوج ما في الضلع أعلاه وفي هذا دليل على كثرة رقتهن وضعفهن وكثرة تعرضهن للإنكسار حالة أن أراد الإنسان أن يقيم هذا الضلع، وسنستفيض في ذلك إن شاء الله..

(1) أخرجه: البخاري 4/161 و(3331) و7/33 و(5184)، ومسلم 4/178 و(1468) و(59) و(60) و(65)

83 - عن المقدام بن معدي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بالنِّسَاءِ خَيْرًا، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ))⁽¹⁾

الفتاة لها طبيعة خاصة وتربية خاصة، وجعل الله أجرًا كبيرًا على تربية الفتاة، وهذا الموضوع يجب الإهتمام به كونه قد يؤثر على حياة الفتاة ككل..

فطرة الفتاة أنها عاطفية وتحتاج إلى لون مختلف من ألوان التربية لا يصلح معها اللون التقليدي..

لابد أن نضع في كل فعل ولفظ يوجه لها حتى طريقة توجيه اللفظ نفسه لا بد من أن توضع في عين الاعتبار؛ «لأن بعض السّلام سلامًا!⁽²⁾، وبعض الكلام كلامًا!⁽³⁾، وبعض العناق عناقًا!⁽⁴⁾»، فالانتباه من مجرد طريقة التلفظ باللفظ قد يؤثر عليهن، ربما أنا أصبحت مدرّكًا لهذه المقولة بعد ولادة أختي، لأننا لم نرزق بفتاة إلا بعد الكثير من الذكور، حتى جاءت في النهاية «أروى» ولو أننا تصورنا أن التاج الذي يوضع فوق رؤوس الملوك أعلى هذا التاج توجد دُرّة أي لؤلؤة عظيمة وهي أبرز وأغلى ما فيه وأسقط ذلك الوصف على أروى لما وفى هذا الوصف كيف تراها عيناى، وأنى لأخشى

(1) السلسلة الصحيحة الصفحة أو الرقم: 2871

(2) السّلام: الحجارة

(3) الكلام: الجراح

(4) العناق: الحبيبة

عليها من الحسد أيضاً فالتمس منكم قول «ما شاء الله
واللهم بارك» إذا ما قرأتم السطور..

(دموع غالية-قصة-)

جرت العادة عند عودتي من سفر أن أحضر لأختي أحد أنواع الشوكلاته، مع علبة من الحليب المخلوط بالفراولة، وكانت لذلك تنتظرني طيلة اليوم..

وفي إحدى المرات كان أخي يقرأ خبراً على أبي بأن القطار القادم من القاهرة قد تعرض لحريق، وهذا القطار هو عكس لمساري، لأن قطاري يخرج من أسوان، فسألت أروى عني بكل براءة، وكانت تبلغ من العمر خمسة أعوام فرد عليها أخي مازحاً:

- احترق معهم..

فانفلتت في البكاء رغم أن أختي الذكور الآخرين لم يتأثروا ومنهم من كان مقارباً لسنها، حاول كل من في البيت تهدأتها فلم يستطيعوا وما زالت عن ذلك حتى غلب على بكائها النوم؛ أي من شدة ما أجهدت نفسها في البكاء نامت..

وبلغت بذلك بعد عودتي، ومن هنا أدركت أن فطرة الفتيات وقلوبهن من أرقى القلوب وأحنها، وأكثرها تعرضاً للإنكسار بأبسط الأمور التي لا تؤثر حتى في الأشخاص العاديين، وتحتاج للإحتواء من الأسرة، وطيب المعاملة والرفق

واللين، تحتاج أن تشعر دائماً بأنها مميزة، ليس فقط أن توفر لها الأمور المادية وتهتمش الأمور المعنوية التي هي بالنسبة لفطرتها أهم، فإشباع الأمور المعنوية للفتاة، سيجعلها آمنة من الكثير من المفاسد والفتن فيما بعد، حتى لا تشعر أنها بحاجة إلى أحد يشعرها بأنها مميزة بأي طريقة حتى لو كانت طريقة غير شرعية، لذلك هذا الأمر مهم جداً، وأنا عرضته لكل من يقرأ كلامي أو ألقى عليه الضوء، وأني أثق أن هنالك وجوه تأثرت وقالت الآن في نفسها لقد قصرت معي أسرتي، لا تتذمر فكلامي هذا لك أيضاً فأنتِ أو أنتِ ستكون أباً أو ستكونين أمّاً فلکم أيضاً هذا الكلام...

84 - وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((مَنْ عَالَ⁽¹⁾ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ)) وَضَمَّ أَصَابِعَهُ⁽²⁾.

((جَارِيَتَيْنِ)) أَي: بنتين.

(1) أي قام عليها بالمؤنة والتربية .

(2) أخرجه: مسلم 8 / 38 (2631) (149) .

85 - وعن عقبه بن عامر، عن النبي ﷺ، قال ((من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجاباً من النار يوم القيامة))⁽¹⁾

86 - وعن أنس أن النبي ﷺ ((كان في سفر، وكان غلامٌ يحدو بهن يقال له: أنجشة، فقال النبي ﷺ: رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير. قال أبو قلابة: يعني النساء. وفي رواية): كان للنبي ﷺ حاد يقال له: أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له النبي ﷺ: رويدك يا أنجشة، لا تكسر القوارير)). قال قتادة: يعني ضعفة النساء.⁽²⁾

وفي هذا الحديث يروي أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في سفر، وكان غلامٌ يحدو بهن -أي بالنساء- وكان اسمه: أنجشة، والحدو: سوق الإبل والغناء لها لتخف في الحركة وتسرع المشي، فقال له النبي ﷺ: «رويدك» أي: أمهل «يا أنجشة سوقك بالقوارير»، ويقصد بهن ضعفة النساء، والقوارير: جمع قارورة، سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها، وكنى عن النساء بالقوارير (من الزجاج): لضعف بنيتهن ورفقتهن ولطافتهن، والمعنى: تمهل في سوقك بالجمال، وسق بها كما تساق إذا حمل عليها القوارير، وتمهل؛ لأن الإبل إذا سمعت الحداء أسرع في المشي واستلذته، فأزعجت

(1) أخرجه ابن ماجه 3669 واللفظ له، وأحمد 17403.

(2) أخرجه ابن ماجه 3669 واللفظ له، وأحمد 17403.

الراكبَ وأتعبته، فنهاه عن ذلك لأنَّ النساءَ يضعفن عند شدّة الحركة ويخافن ضررهنَّ وسقوطهنَّ.

ولذلك وجب الاعتراف بالخطأ من الأسرة في تربية وتنشئة البنات ووجب التعجيل في محاولة الإصلاح، لما يترتب على ذلك من مفساد عظيمة قد تلحق بالفتيات لاحقاً.

ومن أفضح ما لامسته من تلك المفساد النفسية التي صارت لديهن أنني في أول عمل كتبته كنت قد وجهت إهداءً لأختي ببعض الكلمات، جاءتني وفاجأتني بعض التعليقات والرسائل التي كانت تترحم على صاحبة الإهداء طناً منهن أنها ميتة - حفظها الله وأطال في عمرها - وذلك جعلني أدرك أن بعض الفتيات مسكينات، فمن كثرة ما يتعرضن للتهميش ومن قلة ما يوجه إليهن الكلام الجميل من الأسرة، اعتبروا أنهن لن يحصلن على ذلك إلا في حالة الوفاة فقط، وبهذا ندرك جميعاً عظمة هذه المشكلة.

87 - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))⁽¹⁾ رواه مسلم.

(1) أخرجه: مسلم 4/178 (1467) (64).

يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ «الدُّنْيَا مَتَاعٌ»، وَالْمَتَاعُ: مَا يَنْتَفَعُ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَأَنَّ خَيْرَ مَتَاعِ الدُّنْيَا لِلرَّجُلِ الزَّوْجَةُ صَاحِبَةُ الدِّينِ، الَّتِي يَفْرَحُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا، وَبَطَاعَتِهَا لَهُ، وَهِيَ عَفِيفَةٌ تَحْفَظُ نَفْسَهَا إِذَا غَابَ عَنْهَا، وَأَمِينَةٌ تَحْفَظُ مَالَهُ؛ فَهَذَا قِوَامُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ، فَهِيَ صَالِحَةٌ فِي دِينِهَا وَنَفْسِهَا، وَمُصْلِحَةٌ لِحَالِ زَوْجِهَا. وَخَصَّ هُنَا مِنْهَا الْمَرْأَةَ وَقَيَّدَهَا بِالصَّلَاحِ لِيُوَدِّعَ بِأَنَّهَا شَرُّ مَتَاعِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُكُنْ بِتِلْكَ الصِّفَةِ؛ لِأَنَّهَا إِذَا لَمْ يَمْنَعْهَا الصَّلَاحُ عَنِ الشَّرِّ كَانَتْ عَيْنَ الْمَفْسَدَةِ، فَلَا تَأْمُرُ زَوْجَهَا وَلَا تَحْتَهُ إِلَّا عَلَى شَرٍّ، وَأَقْلُ ذَلِكَ أَنْ تُرَغِّبَهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَتِهَالِكَ فِيهَا، وَاسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ النَاجِحَةِ لَا يَقُومُ فَقَطْ عَلَى الْحُبِّ، لِأَنَّ الْحُبَّ يَتَغَيَّرُ وَلَيْسَ بِثَابِتٍ، قَدْ يَزِيدُ أَوْ يَنْقُصُ أَوْ قَدْ يَتَحَوَّلُ لِلنَّقِيضِ إِلَى بَغْضٍ، فَلِذَلِكَ اسْتِمْرَارُ الزَّوْجِ يَعْتَمِدُ عَلَى صِفَاتٍ أُخْرَى مِثْلَ الرَّحْمَةِ الْمُوَدَّةِ الرِّضَا التَّغَافُلِ وَالْمَسَامِحَةِ وَالتَّنَازُلَاتِ..

88 - عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ)) (1)

(1) أخرجه: مسلم 4/178 (1467) (64)..

النِّيَّةُ الصَّالِحَةُ تَقْلِبُ الْعَادَةَ عِبَادَةً، كَوَضْعِ لُقْمَةٍ فِي فَمِ
الزَّوْجَةِ، وَمَنْ الْمُؤَسَّفُ جَدًّا أَنْ نَرَى الْإِنْسَانَ يَسْعَى لِلزَّوْجِ
وَيَسْعَى لِبِنَاءِ شِقْتِهِ وَجَمَعَ أَمْوَالَهُ وَلَكِنَّهُ يَنْسَى الْأَهْمَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ
وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَا هِيَ الزَّوْجِ نَفْسَهُ وَفَقَهُ النِّكَاحَ وَأَصُولَ التَّعَامُلِ
وَأَصُولَ التَّرْبِيَةِ، وَأَرَى أَنْ تَجَاهِلَ ذَلِكَ مِنْ أَهْمِ الْأَسْبَابِ فِي
زِيَادَةِ نِسْبَةِ الطَّلَاقِ وَفَشْلِ الزَّوْجِ فِي وَقْتِنَا الْحَالِيِّ..



وقفة 7



بعد الصبر جبر، ابعء كل الهواجس التي تتملك عقلك من حين لآخر، أنت بخير وحياتك بخير، عش حياتك كما هي، فكر فى الدقيقة القادمة كيف ستعيشها، وقدم عقلك خطوة لأي شيء، وقلبك اربطه بأقدار الله سواء كان قدر أحزنك أو أسعدك لأن أقدار الله دائماً خير، الدنيا فانية لا تستحق، فلا تهتم بأمور الدنيا.





باب المؤنسات الغاليات

في الباب السابق قد ألقينا ولو قليل من الضوء على بعض الأمور المهمة بإيجاز كبير والتي أرجو أن يُستفاض في البحث والقراءة فيها، وفي هذا الباب نستكمل لذلك من المهم أن يقرأ مع الباب الذي قبله والعكس صحيح..

ولا نلقي فقط باللوم على الأهل فقط بل أيضاً يجب أن أذكر ما أراه وأشاهده من بعض الفتيات تجاه أهلهن، لا شك أن انتشار وسائل التواصل الاجتماعي وتطبيقات المقاطع القصيرة «ريلز» قد أضعفت من تركيز الفرد، وأصبح لا يستطيع الصبر على قراءة أو مشاهدة شيء لفترة طويلة، وأيضاً جعلت الفرد ساخطاً على أهله بسبب ما يشاهده من حياة الناس ويرى ما يزورونه، فيسخط على معيشتهم، ويكره أسرته، ويجعلهم شماعة لكل شيء فشل فيه في حياته لأنهم لم يوفروا له الحياة المناسبة مثل باقي الناس، وهذا من الغيرة المكروهة وهي خاصة عند الفتيات الذين يجذبون لكل شيء وأي شيء يرونه، وللأسف الشديد أن أغلب ما يرونه يحارب فطرتهم ويدعو للفساد.

وأنا أكتب ذلك الكلام لما أراه من كتابات من الطرفين وخاصة الفتيات عن الأهل، ومن يكتب «أبي أرسلت له رسالة مملوءة بكلمات الحب ولم يرد علي مثلما أرسلت له» ويسخر على أبيه، أو من تكتب «أبي لا يوفّر لي إشتراك بأحد النوادي مثل صديقتي التي تذهب إلى هنالك وتشارك فيديوهات لها على أحد التطبيقات وذلك يحزني» وتعيش في دور الضحية التي تتعرض للعنف الأسري، وأمثلة أخرى كثيرة وكل ذلك بسبب رؤيتهم لأناس على وسائل التواصل الاجتماعي فيتولد لديهن شعور من الغيرة، وهذا الكلام يُخرج جيلًا يملك شعورًا غير مبرر وغير مفهوم بالاستحقاقية..

جيل يرى أن أبوه وأمه ليس لهم أي فضل عليه؛ لأنه كما قيل له أنه جاء الدنيا برغبتهم وليس برغبته.. وهم موجودون لخدمته وتحقيق أحلامه فقط دون أي اعتبارات أخرى..

جيل لا يفكر أنه لولا والديه لم يستطع أن يكون قادرًا على العيش والتنفس حتى يكتب ذلك الكلام..

لا يفكر في كم وظيفة يعملها والده أو كم ساعة تقف على رجليها أمه حتى يوفّر المال والأكل والعلاج والتعليم!

جيل لا ينظر لما في يده من نعم لكن دائمًا يفكر فيما ينقصه حتى يزداد عنده الشعور بالجحود.. سواء جحود فضل أهله عليه أو جحود فضل الله عليه عندما يمد نمط تفكيره على طول الخط.

أي شيء يفعله الأب أو الأم يُقال عليه واجب، لكن الابن لا يوجد عليه أي واجبات!

النادي الخاص ليس واجباً.. المدارس الخاصة ليست واجباً..

عشرون صنفاً من الأكل أو منتجاً من السوبرماركت ليس واجباً.. وأغلب الآباء والأمهات يأخذوا من وقتهم وصحتهم طواعيةً ويعملون أكثر من الواجب بمراحل، فلا تجحدوا حقوقهم.

فعندما يأتي أحد الناس ولا يتذكر جري أبيه به على الأطباء وهو مريض أو المأكل والملبس ويعتقد أنه يتعرض للتهميش وعدم الاهتمام فيفترض أن يجلس معه ويعرف أن هذا جحود ونكران للجميل وأن يفهم مقدار المجهود خلف الأشياء التي يجدها مهياة له، ومن تعود نكران نعمة الناس وفضلهم عليه وترك شكره لهم، كان من عادته الجحود بنعمة الله عز وجل وترك الشكر له يقول تعالى ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾⁽¹⁾.

وقد قص علينا رسول الله ﷺ قصة بعض الجاحدين وما حل بهم من عقوبة الله تعالى..

(1) {النحل: 71}

89 - فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: ((إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم «أي يمتحنهم». فبعث إليهم ملكا.

فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرتني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطني لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الإبل. قال: فأعطني ناقة عشراء. قال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرتني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه وأعطني شعرا حسنا. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطني بقرة حاملا. فقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس. قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطني شاة والدا «أي: وضعت ولده وهو معها». فأنتج هذان، ووئد هذا. قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد

الحسن والمال بغيرا أتبلِّغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر. فقال: إن كنت كاذبا، فصيرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ على هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك، بالذي ردَّ عليك بصرك شاة أتبلِّغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتكم، فقد رضي عنك وسخط (على صاحبك))⁽¹⁾.

ولو أستمريت الفتاة والشاب من متابعتها لوسائل التواصل الاجتماعي والتأثر والنظر لما ينقصها لتحولت بمرور الوقت إلى الجحود..

(1) أخرجه البخاري (3464)، ومسلم (2964) باختلاف يسير.

هنالك رسالة من إحدى الفتيات تقول: «أنا على باب فتنة خلع الحجاب، لبسته منذ أن كنت ١٢ عاماً، وتأتيني أفكار بأنني لم أتمتع بجمالي وأريد أن أظهر بكامل حُلتي أمام الناس خاصة أنهم لا يعيبون على الفتيات الغير ملتزمات باللباس الشرعي ما دامت أخلاقهن عالية. بدأ الموضوع يأخذ حيزاً من تفكيرى هل أخلعه؟»

كثير من البنات سواء المرتديات للزي الشرعي أو الغير مرتديات له يقولون تلك الجمل «أنا لم أتمتع بجمالي» أو «لم أتمتع بشبابي»..

- التحليل -

ماذا يعني أتمتع بجمالي؟! كيف يمكن لإنسان أن يتمتع بجماله؟! جمال الإنسان يستمتع به غيره وليس هو؟ وإنما تمتع الإنسان يكون باطراء الآخرين وإعجابهم، فلو لدقيقة فكرتي بعقلك بدون تجميل للألفاظ ستجدي معنى الكلام: أنا أريد أن أعرض جمالي على الأجانب وأمتعهم بجمالي وأرى في أعينهم نظرات الإعجاب والانجذاب والافتتان.

فهل ترضين لنفسك أن تكوني متعة مطروحة لكل من هب ودب يستمتع بها؟

كثير من البنات أيضاً يرددن: «خاصة أن الناس لا يعيبون على الفتيات الغير ملتزمات باللباس الشرعي ما دامت أخلاقهن عالية»، أو «القلب أهم من المظهر» أو «المهم حجاب القلب»

- التحليل -

السؤال هنا وهل يُرتدى الحجاب طاعة لله عَزَّ وَجَلَّ وخوفاً من عقابه ورغبة في ثوابه أم للناس لكي يقولون عليك صاحبة أخلاق عالية وأفضل من الباقيات؟

عندما يكثر في قلب الإنسان قدر ثناء الناس واطرائهم والرغبة في الحصول على المكانة عندهم ويقل في قلب الإنسان الرغبة فيما عند الله تعالى أو الخشية من عقابه، فلا بد من أن يُعالج أصل المشكلة والمرض لا الأعراض والنتائج، والعلاج هو تعظيم قول الرسول وقول الله في قلبك وتصحيح الفكر في تلك المسألة، فالستر من فطرة المرأة ومن باب الحياء..

90 - فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ))⁽¹⁾.

(1) أخرجه البخاري 8/35 (6117)، ومسلم 1/46 (37) (60).

91 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة: فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))⁽¹⁾.

ونهى الله سبحانه وتعالى والرسول صلى الله عليه وسلم عن التبرج بجميع أنواعه يقول سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾⁽²⁾، أي: لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هذا دفع للشر وأسبابه.

92 - عن فضالة بن عبيد أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة، وعصى إمامه، ومات عاصياً، وأمة أو عبد أبق فمات، وامرأة غاب عنها زوجها، قد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده، فلا تسأل عنهم))⁽³⁾

وفي هذا الحديث أن هذه المرأة بعدما غاب زوجها تبرجت، فكيف بنساء اليوم اللاتي يتبرجن على مرأى ومسمع بل وإقرار ورضا من أزواجهن وأولياء أمورهن؟!.

(1) أخرجه: البخاري 1/9 (9)، ومسلم 1/46 (35) (58).

(2) {الأحزاب - 33}

(3) رواه أحمد (23942) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (590). وصححه الألباني

في صحيح الجامع (3058).

وقالت أم علقمة بن أبي علقمة: «دخلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر على عائشة أم المؤمنين ي وعليها خمار رقيق فشقتة عائشة عليها وكستها خمارًا كثيفًا»⁽¹⁾

93 - عن عبد الله بن عمرو بن العاص ب أنه قال: جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تباعه على الإسلام فقال: ((أبأبعك على أن لا تُشركي بالله شيئاً، ولا تُسرقني ولا تُزني، ولا تُقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفتريه بين يديك ورجلك، ولا تنوحني، ولا تبرجني تبرج الجاهلية الأولى))⁽²⁾.

وقال مقاتل بن حيان: «والتبرج: أنها تلقي الخمار على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها وقُرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج - يقصد تبرج الجاهلية -، الذي نهى عنه ربنا عز وجل، ونبينا ﷺ، وكيف صار تبرج اليوم أقبح منه بكثير، وعليه فإنه أشد منه نهياً وتحريمًا، فنسأل الله أن يرُدَّ نساء المسلمين إليه ردًا يُرضيه

(1) الطبقات لابن سعد (8 / 71).

(2) رواه أحمد (6850). وقال المحقق شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره

94 - عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((صُنْفَانُ مَنْ أَهْلُ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا - وَذَكَرَ مِنْهُمَا - وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ، مَائِلَاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)) (1).

قال ابن عبد البر: «أَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ «كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ» فَإِنَّهُ أَرَادَ اللَّوَاتِي يَلْبَسْنَ مِنَ الثِّيَابِ الشَّيْءَ الْخَفِيفَ الَّذِي يَصِفُ وَلَا يَسْتُرُ فَهِنَّ كَاسِيَاتٌ بِالِاسْمِ عَارِيَاتٌ فِي الْحَقِيقَةِ.. «مَائِلَاتٌ» أَي: زَانِعَاتٌ عَنِ الطَّاعَةِ، «مُمِيلَاتٌ» يَعْلَمْنَ غَيْرَهُنَّ الدُّخُولَ فِي مِثْلِ فِعْلِهِنَّ، أَوْ مَائِلَاتٌ مَتَبَخَّرَاتٌ فِي مَشِيَتِهِنَّ، مُمِيلَاتٌ لِلْقُلُوبِ بِغَنَجِهِنَّ.

95 - عن أسامة بن زيد أنه قال: كساني رسول الله ﷺ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا دَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ فَكَسَوْتَهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْقُبْطِيَّةَ؟»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَوْتَهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُرَّهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا» (2) الْقُبْطِيَّةُ: ثِيَابٌ رَقِيقٌ لَا تَسْتُرُ الْبَشْرَةَ عَنْ رُؤْيَةِ النَّظَرِ بَلْ تَصِفُهَا..

(1) رواه مسلم (2128).

(2) رواه أحمد (21786)، وحسن إسناده الألباني في جلاب المرأة المسلمة (ص: 131).

ومما سبق في تلك الأحاديث نستنتج أنه المطلوب في زي المرأة المسلمة أن يكون ساتراً، لا يشف ولا يصف ولا يكشف شيئاً مما يجب ستره، وهو على هذا النحو لا يعوق المرأة في طريقها أو عملها.

وما سنتطرق إليه الآن هو أمر آخر مهم، وهو «محاولة تشبه النساء بالرجال، والرغبة في مصارعتهم وأخذ ما يأخذون رغم كونه يعاكس فطرتهم، فقد جبل الله الرجال على خلقة وطباع تمتاز عن جبلة وخلقة النساء، وهذه خلقة الله لا تبدل لخلقته تعالى.

96 - عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: ((لعن الله الرجل من النساء))⁽¹⁾

واللعن هو الإبعاد، وهو مستعمل في الإبعاد من الخير، والمراد به هنا: الطرد من رحمة الله تعالى، «الرجل من النساء»، أي: التي تشبه بالرجال في زيها وهيأتها الخاصة وأخلاقها وأفعالها وأقوالها، أو رفع صوتها أو غير ذلك، وهذا ترهيب شديد للمرأة لكي لا تشبه بالرجال في أحوالها، وعند أبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها: «لعن رسول الله ﷺ الرجل من النساء».

(1) صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: 5096

وفي الحديث: أَنَّ تَشْبَهُ الْمَرْأَةِ بِالرَّجُلِ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ؛
لأنَّهُ سَبَبٌ فِي لَعْنِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا.

الأمر الآخر المهم الذي أحب التويه عنه هو الإرتباط أو العلاقات الغير شرعية والتي انتشرت بشكل كبير في الجيل وصارت كالنار في الهشيم بسبب وسائل التواصل الإجتماعي وقد أشرنا في شيء من الإيجاز دور الأسرة في تفاقم هذه المشكلة في باب «إعتذار للقوارير» ..

الفتاة -كما قلنا- هي المفتاح وهي التي بيدها أن تفتح الباب لشاب أجنبي لتحدثه من وراء أهلها وتخون الإمانة والثقة أو تغلق عليه الباب وتحفظ نفسها، يقول جل وعلا في كتابه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١) والإرتباط هو أحد أنواع القرب، وهو ذنب معقد في ذاته، لأنه مجموعة من الذنوب ويؤثر على فاعله تأثيراً عظيماً على المستوي القلبي والنفسي، فكسرة القلوب والأنفس قد لا تجبر إلا بموت الإنسان، فكثير من الخارجين من العلاقات الغير شرعية، لم يعودوا صالحين لممارسة الحياة بشكل طبيعي كما السابق، ففي بداية أي فتنة يجب تذكر الوقوف بين يدي الله تعالى، وتذكر الجنة ونعيمها والنار وعذابها،

(1) الإسراء 37

ذَكَرَ الصِّرَاطَ وَالتَّفَكَّرَ فِيهِ وَفِي المَوْقِفِ، وَتَذَكَرَ عَذَابَ القَبْرِ وَنَعِيمَهُ، حَاسِبُوا أَنفُسَكُم مَعَشَرَ الشَّبَابِ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا..

97- فعن أبو هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللُّذَاتِ يَعْنِي المَوْتَ))⁽¹⁾

فالموتُ هو سببُ يَمْنَعُ المتوَعِّلَ فِي الشَّهَوَاتِ وَالمَعَاصِي الِاسْتِمْرَارَ فِي ذَلِكَ، وَذَكَرَهُ وَالمَوْقِفُ عَلَى حَقِيقَتِهِ يُعَدُّ مَسَارَ هَذَا العَاصِي، بَارِكَ اللَّهُ فِيكَن وَزَادَكَن حِرْصًا عَلَى الخَيْرِ وَيَسَّرَ لَكِن أُمُورَكَن وَهَدَاكَن لِكُلِّ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ.

(1) أخرجه الترمذي (2307)، والنسائي (4/4) ببعضه، وابن ماجه (4258) واللفظ له

دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا-قصة-

كان هناك تاجر قماش له محل وبضاعة يتاجر فيها، فأتت إلية امرأة لتشتري منه فأعجب بها الرجل وزينها له الشيطان، فما كان من هذا التاجر غير أنه مسك يدها، فقالت له هذه المرأة (اتق الله).

أثرت تلك الجملة في البائع فترك يدها وقال ”لا خير في يوم يبدأ بالحرام“ وأغلق محلة وتوجه إلي منزله.

فعندما دخل بيته وجد زوجته تبكي فقال لها: ما يبكيك؟، فقالت له: «كان السقا هنا يملئ الماء ومسك بيدي، فقلت له اتق الله فاستغفر الله ومشى».

فقال التاجر مقولته تلك المشهورة ”دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا“.

(كما تدين تدان) أو (الجزاء من جنس العمل) حكمة بليغة تناقلها الناس قديماً، وجاءت الشواهد من الكتاب والسنة دالة عليها، فهي سنة كونية جعلها الله سبحانه وتعالى عظة وعبرة للناس.

أما آن الآن؟-قصة-

تقول في ليلة كباقي الليالي، بل ربما لا، كانت تختلف عن باقي الليالي، كانت الساعة الرابعة بعد منتصف الليل، الخوف يسيطر علي، بدأت أقرأ ما أحفظ من سور، في الليل لم أنم، جاءت الساعة الرابعة، وشعرت بخوف شديد ملأ قلبي، كنت أحفظ بعض السور، نسيت أكثرها، بدأت أقرأ ما أحفظ، زال شيء من الخوف لكن الخوف ما زال يطاردني، أغمضت عيني، وجعلت أتذكر، أتذكر شريط حياتي كله الذي بدأ يمر أمام عينا، طفولتي...، ولما كبرت شيئاً فشيئاً، ذنوبي الكثيرة، صلاتي التي ضيعتها، صديقتي المفضلة التي أحبها، كيف ألتقيت بها أول مرة ولازمتها وعشت معها لسنوات طويلة، أتعرفون ماذا حصل لها؟، صديقتي التي كنت ألعب وأخرج معها، لم تفكر أبداً في الموت، وخرجت في حادثها في يوم من الأيام ولكنها عادت في صندوق، ماتت في حادثها، وأنا الآن خائفة، فكرت ماذا لو جاءني الآن ملك الموت، ماذا لو كنت أنا وليس صاحبتني التي ماتت، هل أنا مستعدة؟، هل سأكون من أهل الجنة أم من أهل النار، ماذا سأفعل، وبدأت أتذكر، غيبتي، تبرجي، عقوقي لأمي، حديثي العاطفي مع الرجال من وراء أهلي، كيف سألقى الله عز

وجل؟، فحدثتني نفسي وقالت لي: «أنت أفضل من غيرك بكثير»، فتساءلت في نفسي: «أين تلك الفتيات الطاهرات العفيفات؟، لما لم أكن منهن يوماً ما؟، الواحدة منهن تدفع نفسها ثمناً ولا تُرى شعرة منها»، قلت في نفسي: «وهل أملك عهداً ألا أموت إلا وأنا على خير، ماذا سأفعل لو ذهب مع صديقتي إلى القبر؟»، فخفت وقمت من فراشي مرتعبة، في عيني تجمدت دمعتان، قمت وتوضأت، وصليت ركعتين، وفاضت فيهما عيناى بالدموع، المرة الأولى التي أبكي خلال الصلاة، لما أبكي؟، لا أدري!، لما فاضت عيناى؟، لا أدري!، هل ربما هي على ذنوبي الكثيرة والمعاصي التي ارتكبتها وكنت أظنها هينة!، وبعدها انتهيت من الصلاة جلست أتذكر ماذا فعلت في هذه الحياة، آه يا نفس ويلك لو قبضك الله وأنت على هذه الحال، متى تتوبين؟، متى ترجعين؟، حتى سمعت أذان الفجر، صلّيت الفجر، وبدأت أقرأ القرآن وكان أسعد يوم في حياتي، وبدأت أشعر بالسعادة. ومنذ تلك الليلة بدأت في طريق التوبة وطريق الهداية كأني ولدت من جديد.

وقفة 8



ظروف الفتن التي نعيشها اليوم فرصة كي نرتقي
في الجنان ونرتقي للفردوس الأعلى، ليس للهروب
والامتعاض فالأجر لمن يتمسك بقيمه وخلقه في
عصر الغربة والفتن لو تعلمون عظيم..





باب وصايا أخيرة

أما الآن فقد وصلنا إلى آخر المحطات وآخر الأبواب، وأني لفي النهاية أحب أن أنوه إلي أنه يجب علينا التصدي لكل المجاهرات بالمعاصي، بإظهار العبادات والأعمال الصالحة وهذا ليس رياءً، لأن الرياء يكمن في نية العبد فحتى لو لم يُظهر الفعل وشعر بالرضا عن نفسه والكبر فقد وقع فيه، أما إظهار الصالحات من الأعمال ليقتردي به الناس ويفعلون مثله فذلك شيء طيب..

98 - فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: ((تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ))⁽¹⁾.

(1) أخرجه: مسلم 8/44 (2642) (166).

وليكن التفاؤل معك دائماً ولا تتطير..

99 - فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم: ((يعجبه
الفال الحسن، ويكره الطيرة))⁽¹⁾.

100 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
((الطيرة شرك))⁽²⁾

وقال تعالى حاكياً ما قاله قوم صالح لنبئهم عليه السلام:
﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
تَفْتَنُونَ﴾⁽³⁾.

قال القرطبي: (قوله تعالى: قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ
أي: تشاءمنا. والشؤم: النجس. ولا شيء أضرُّ بالرأي ولا
أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة. ومن ظنَّ أن حوَارَ بقرّة أو
نعيق غرابٍ يردُّ قضاءً، أو يدفع مقدوراً، فقد جهل).
(وأجاب صالح كلامهم بأنه ومن معه ليسوا سبباً شؤم،
ولكن سبباً شؤمهم وحلول المضار بهم هو قدرة الله).

(1) أخرجه ابن ماجه في «سنه»: كتاب الطب: باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة:
برقم (3536).

(2) أخرجه أبو داود (3910)، والترمذي (1614)، وابن ماجه (3538) مطولاً. صححه
الترمذي، وابن حبان في ((صحيحه)) (6122)، وابن العربي في ((عارضه الأحمدي))
(4/108).

(3) [النمل: 47]

قال الرَّازِيُّ: (ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ هَذَا جَهْلٌ مِنْهُمْ، بِقَوْلِهِ: بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَفْتَنُونَ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ غَيْرَهُمْ دَعَاهُمْ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَفْتِنُكُمْ بوسوستِهِ)

ويجب عليك أن تعلم أنه حتى عمالك الصالح هو من ضمن نعم الله عز وجل عليك، الحسنة بعشر أمثالها، فلو أستعجرنا أجيراً للعمل وقلنا له سنعطيك عشر أضعاف أجر عمالك، فأنظر كيف يصنع، فالعبد لا يفقه تمام الفقه حتى يدرك أن عمله الصالح نعمة من الله عز وجل.

قال ابن القيم رحمه الله: «قد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرك بالنعيم وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأنه بقدر الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم هو صبر ساعة»

(وداع الحبيب-قصة-)

تزاحم عليه الناس، ولم يستطيعوا أن يروه كلهم، فركب على دابته وقال ﷺ: «يا أيها الناس خذوا عني مناسككم»، وها نحن إلى اليوم حتى الحصى نرميه كما رماه ﷺ، ثم وصل إلى عرفة، ووقف والتفت إلى الناس وهو على دابته، وقال «يا أيها الناس اسمعوا عني واعقلوا، فإنني لا أدري لعلني لا أراكم بعد هذا العام»، فوقف العباس وربيعة بن أمية يكررون كلام النبي ﷺ ويرفعون الصوت، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «أتدرون أي شهر هذا، أتدرون أي بلد هذا، أتدرون أي يوم هذا»، فقالوا: «نعم يا رسول الله، هذا الشهر الحرام، وهذه البلد الحرام، وهذا يوم عرفة»، فقال لهم: «فإن دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»، ثم قال: «يا أيها الناس اتقوا الله في النساء»، هنيئاً للمرأة التي وصى عليها النبي في نهاية حياته، فقالوا: «يا رسول الله أتذكرهن في هذا المشهد»، فقال: «اتقوا الله في النساء فإنهن أسيرات عندكم، أخذتموهن بإمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، أيها الناس اسمعوا عني ما

أقول واعقلوه إنما المسلمون أخوة» ثم قال «يا أيها الناس إنني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة فلا تسودوا وجهي يوم القيامة، فإني آتي يوم القيامة أستنقذكم من النار فيقال لي «دعهم فإنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك» فلا تسودوا وجهي.. أيها الناس إنكم ستسألون عني يوم القيامة، والله سيسألكم ويستشهدكم، فهل ستشهدون أني بلغت الرسالة وأديت الأمانة»، فأرتفعت أصواتهم قالوا «نشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق الجهاد» فقال: «يا ربعة قل لهم فليعيدوها مرة أخرى»، فقالوا «نشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق الجهاد»، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «اللهم فاشهد، اللهم فاشهد»، وفي آخر ساعة من يوم عرفة، نزل قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽¹⁾، يقول عمر رضي الله عنه: «ففرحت بهذه الآية لأن فيها دليل انتصار واكتمال الدين»، أما أبو بكر رضي الله عنه فسمعها وبكى فقالوا: «لماذا تبكي يا أبا بكر»، قال: «والله إن الله قد نعى لنا رسوله، وما من شيء يكتمل إلا وله نقصان وأن الأمة ستودع حبيبها ورسولها ﷺ»، ثم خرج النبي ﷺ من مكة وتوجه إلى المدينة واجتمع الناس في المسجد، فنظر إلى المهاجرين والأنصار، وقال في المسجد: «يا أيها الناس اشهدوا إنني رضيت عن أبي بكر فارضوا عنه،

[1] (المائدة: 3)

ورضيت عن عمر..... ثم عد العشرة المبشرين بالجنة»، ثم قال: «واشهدوا أنني رضيت عن المهاجرين والأنصار»، ثم قال: «أذكركم بأهل بيتي، الله الله في أهل بيتي»، ثم قال: «احفظوا أصحابي، لا يبلغني أنكم ظلمتم أصحابي يوم القيامة»، ثم قال رسول الله: «أحفظوا ألسنتكم عن المسلمين، فإني عرضت عليا الأمم فرأيت النبي وليس معه أحد، ورأيت النبي ومعه الرجل والرجلان، ورأيت النبي ومعه الرهط، فرأيت غمامة في السماء فقلت هؤلاء أمتي، قالوا لا، هؤلاء قوم موسى، فرأيت سواداً أعظم منها فقليل لي هذه أمتك، ومعهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فسألت الله أن يزيد كل سبعين ألف سبعين ألف، فزادهم الله».

عمر النبي ﷺ ثلاثة وستون عاماً، وبدأ يصلي من التعب وكبر السن الرواتب جالساً ﷺ، وآخر آية نزلت على النبي ﷺ كانت ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، وأخذ النبي ﷺ يفكر وهو جالس، يتذكر يوم قالت عنه قريش مذمماً، ويتذكر يوم طردوه من بلده، يتذكر يوم اتهموه في عرضه، ويتذكر يوم أحد يوم قتل حمزة وسبعين من أولئك المؤمنين ثم قال رسول الله ﷺ «خذوني إلى شهداء أحد»، فوقف عند شهداء أحد ويقول لهم «السلام عليكم، أنتم السابقون وأنا بكم لاحق» ثم

(1) [البقرة: 281]

يبكي ﷺ، ويقول: «أني أشتقت لأخواني»، فقيل له: «أولسنا أخوانك يا رسول الله»، قال: «أنتم أصحابي ولكن أخواني الذين آمنوا بي ولم يروني»...

مرض النبي ﷺ وكان يطيب في غرفة عائشة -رضي الله عنها- وكان الناس في المسجد خائفون على رسول الله وأصواتهم ترتفع، قال النبي ﷺ: «ما هذا الصوت»، قالت ام المؤمنين: «صوت الناس في المسجد خائفون عليك»، قال ﷺ: «صبوا عليا ماء»، فصبوا عليه الكثير من الماء وصعد على المنبر ﷺ، وسكت الناس وقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس بلغني أنكم خائفون علي، موعدي معكم ليس هنا في الدنيا إنما موعدي معي عند الحوض، والله وكأني أنظر إليه من مقامي هذا، والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تفتح عليكم كما فتحت عليهم وأن تهلككم كما أهلكتهم، وأن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين أن يلقى الله فاختر الرفيق الأعلى»، لم يفهم أحد من الصحابة جملة إلا أبو بكر فأجهش في البكاء، ثم قال النبي ﷺ: «اللهم الله في الصلاة» - يا من تركتم الصلاة خذوها وصية من رسول الله قبل موته- ثم قال ﷺ: «اللهم الله في صلة أرحامكم، اللهم الله في نسائكم، أوصيكم بالنساء خيراً» -يا من أكلتم الميراث وقطعتم صلة أرحامكم خذوها وصية من نبيكم قبل موته- ثم قال ﷺ: «أيديكم الله، نصركم الله، حفظكم الله.. أيها الناس، بلغوا عني السلام وبلغوا مني السلام لكل من

آمن بي من أمتي ولم يراني إلى يوم القيامة» وعليك السلام يا رسول الله لقد بلغنا سلامك، وبلغتنا سنتك، ووصل إلينا هديك، صلى الله عليك يا رسول الله، لك منا السلام..

وأزداد مرضه ﷺ ولم يستطع أن يخرج ليصلي بالناس، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فصلى أبو بكر بالناس، وفي فجر الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة، وبينما الناس في صلاتهم، خلف أبي بكر -كما أمر بذلك النبي ﷺ وإذ بالستر الفاصل بين حجرة عائشة والمسجد يرفع، وبرز رسول الله ﷺ من ورائه، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة فتبسم.. فرجع أبو بكر إلى الصف، ظناً منه أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة.. وكاد المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ فأشار إليهم أن اتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر.. وانصرف الناس بعد الصلاة وهم يظنون أن رسول الله ﷺ قد شفي وعوفي من مرضه، ولكن تبين أنها كانت نظرة تفقد ووداع.

فعاد ﷺ إلى فراشه واستند على عائشة -رضي الله عنها-، وجعلت تتغشاها سكرات الموت.. قالت عائشة فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت لسكرات». وكانت فاطمة -رضي الله عنها- لما رأت منه ذلك قالت: «وا كرب أبتاه! فيقول لها ﷺ: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم».

ومع شروق شمس الاثنين، دخل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ وقال : ملك الموت بالباب، ويستأذن أن يدخل علي، وما استأذن من أحد قبلك، فقال له: «أئذن له يا جبريل»، ودخل ملك الموت وقال : السلام عليك يا رسول الله، أرسلني الله أخيرك بين البقاء في الدنيا وبين أن تلحق بالله، تقول عائشة-رضي الله عنها-: «والله لا يختارنا والله لا يختارنا»، فقال النبي ﷺ: «بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى..»، تقول عائشة: «فثقل رأسه على صدري، فعلمت أنه مات».

مات رسول الله ﷺ، مات الرحمة المهداة، مات السيراج المنير، وانقطع الوحي، مات النبي ﷺ، وترك لنا رسالته حية باقية، ودين الله منتصر، والله حي لا يموت.



الوقفة الأخيرة



﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾

سورة البلد- 24.

لحظة فارقة تكتشف فيها أن حياتك الحقيقية تبدأ من عندها، تكتشف فيها أنك كنت مسافرًا في الدنيا وهذه هي محطة وصولك لمستقرك النهائي، نعم هي لحظة ولكن ليس من بعدها عودة، فتمسك بأي شيء يقربك من الله سبحانه وتعالى.





الخاتمة

ختامًا، بعد هذه الرحلة من التنقل من باب لآخر، فإني أرجو من الله أن أكون قد وفقت - وما توفيقى إلا بالله - في أن ألقى بصيصًا من الضوء على بعض الأمور المهمشة والتي انهكت مجتمعا وتسببت في الكثير من الخلل وضياع الأخلاق، وإني في نهاية الأمر إنسان يخطئ ويصيب، وأني لأنظر لقبري قبل النظر إلى قلبي، فكلنا سنموت، فسبحان من تفرد بدوام العزة والبقاء، وحكم على مخلوقاته بالموت والفناء، ولم يشاركه أحد في خلقه حتى الملائكة والأنبياء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة لسائر الكائنات وعلى آله وصحبه الأئمة الهداة.

د. أحمد إبراهيم عبدالرحمن

غفر الله له ولوالديه

1446 هـ



المراجع

1. القرآن الكريم
2. صحيح البخاري
3. صحيح مسلم
4. سنن أبو داود
5. سنن الترمذي
6. سنن النسائي الكبرى والصغرى
7. سنن ابن ماجه
8. سنن الدارمي
9. موطأ الامام مالك
10. مسند أحمد بن حنبل
11. تفسير الشعراوي
12. تفسير القرطبي
13. تفسير ابن كاثير
14. تفسير السعدي
15. علو الهمة

16. من كتب د. مصطفى محمود

17. رياض الصالحين

18. الدرر السنية

المحتويات

5	إهداء
7	إهداء
9	المقدمة
11	باب النية والعمل
12	(ألأجل الدنيا؟! - قصة-)
15	وقفة 1
17	باب التوبة والندم
22	(أأكون مثل هذا؟! - قصة-)
26	(رق قلبه- قصة-)
29	وقفة 2
31	باب رحمة الله تعالى وحسن الظن به
38	(سر اسمه التوكل والدعاء- قصة-)
57	(اترك بابًا بينك وبين الله- قصة-)

59	وقفة 3
61	باب الصبر والإحتساب
65	(شيخ أمه - قصة -)
71	وقفة 4
73	باب المسارعة لعمل الخير والإيثار على النفس
78	(والله يضاعف لمن يشاء - قصة -)
81	وقفة 5
83	باب مكارم الأخلاق
125	وقفة 6
127	باب اعتذار للقوارير
130	(دموع غالية - قصة -)
137	وقفة 7
139	باب المؤسسات الغاليات
152	(دقة بدقة ولو زدت لزداد السقا - قصة -)
153	(أما آن الآن؟ - قصة -)

155	وقففة 8
157	باب وصايا أخيرة
160	(وداع الحبيب- قصة-)
167	الوقففة الأخيرة
169	الخاتمة
171	المراجع

